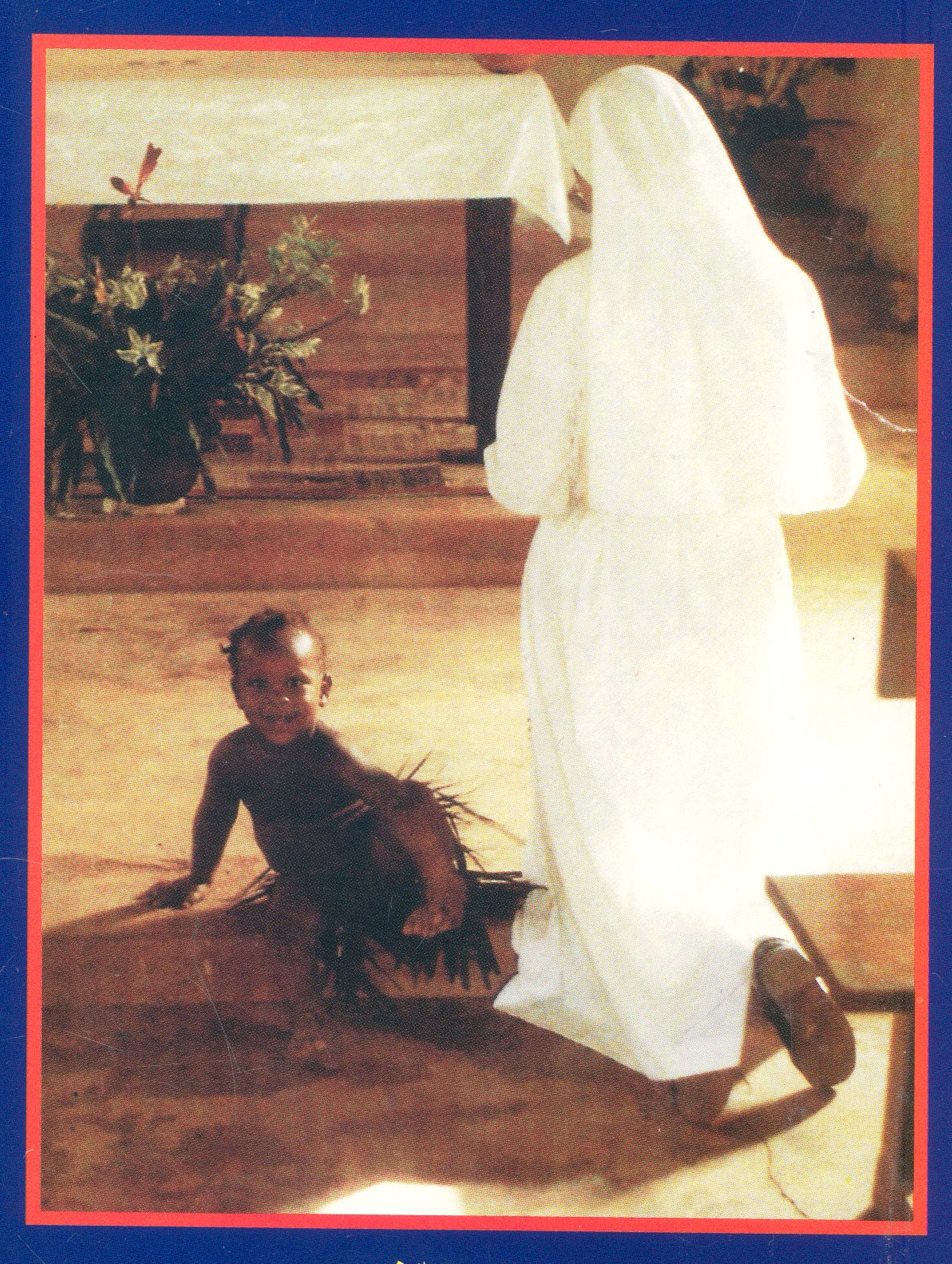
سلسلة ثقافة الشباب الكاثوليكي (١٠)



ديناميكيّة

التبتُّل والعاطفة

إعداد

الأب/ دانيال لطفي

ديناميكية العاطفة والتبتل

الأب/ دانيال لطفي

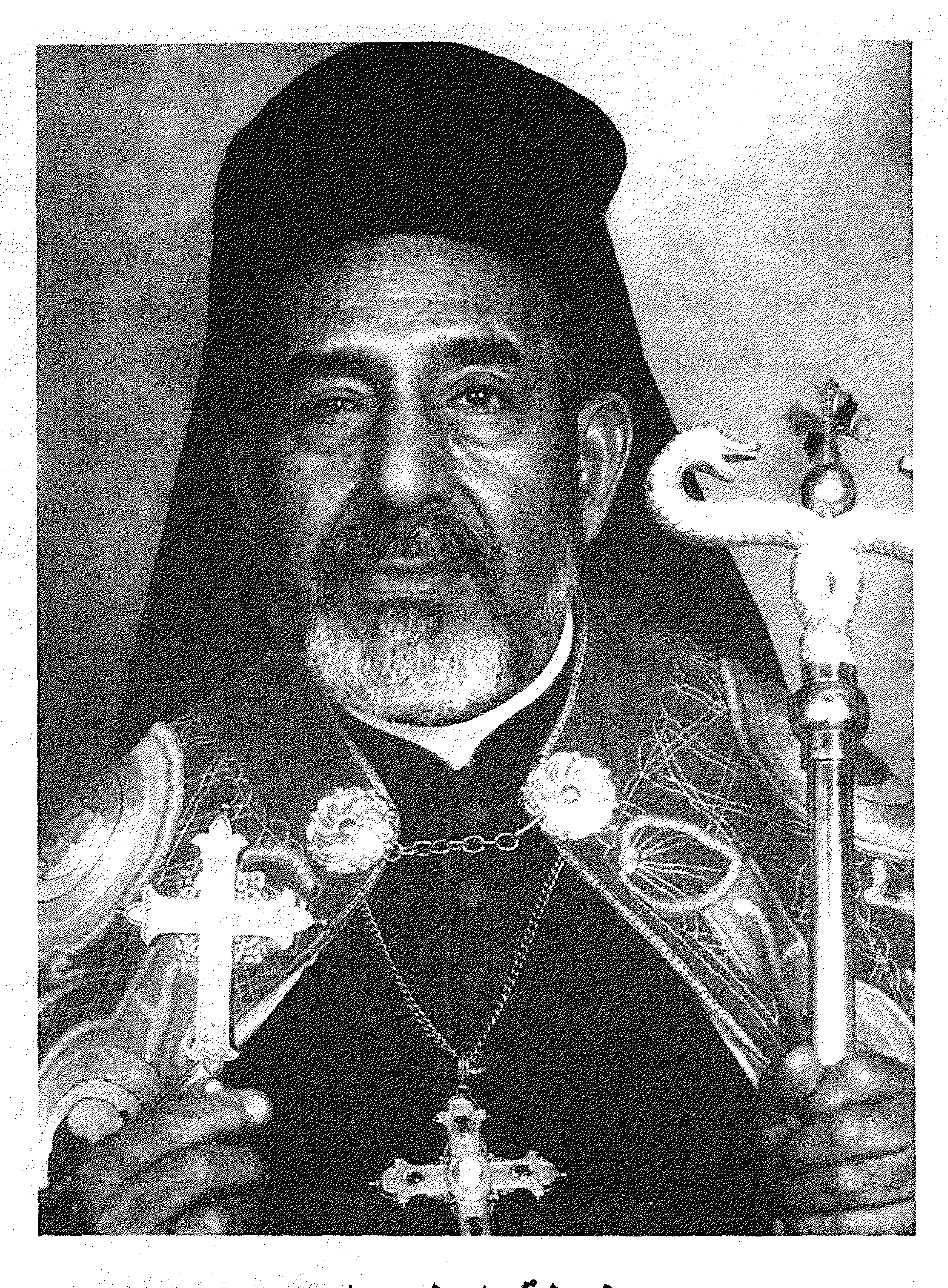
اسم الكتاب: ديناميكية العاطفة والتبتّل

المؤلّــــف: الأب دانيال لطفي

الناشــــر: المنشآت البابوية للرسالة المسيحيّة

المطبعــــة: دار الطباعة القوميّة – ت: ٥٨٨٢٩٧٦ – ٥٩٠٥٤٨٦

رقم الإيداع: ٧٥٠٢ / ٢٠٠٢



غبطة البطريرك
الأنبا اسطفانوس الثانى غطاس
بطريرك الأسكندرية وكردينال الكنيسة الجامعة

مقدمة الناشر

النبـل هـو التكرس الكامل في سـبيل هـدف سـامٍ، وكما يقول علماء النفس والاجتماع هو عملية إعلاء ترتقي بالإنسان سلم النضج لتصل به إلى أعلى الدرجات وتوجّه طاقاته المادية نحو قيم وأهداف أرفع وأسمى وأروع. . . لكن سرعان ما تقفز إلى الذهن عدة تساؤلات: هل يحقق النبل الذات الإنسانية ويصل بالنضج العاطفي إلى أسمى مستوياته؟ وما الدور الذي تلعبه العواطف للوصول إلى هذا الهدف النبيل؟ وما السبيل إلى تحقيق ذلك في الواقع الحياتي للكثيرين؟

هل النبل مشروع حياتي رائع لا صلة له بالواقع اليومي المعاش؟ هل هو أمر ممكن التحقيق أم مجرد أمنيات روحية لا تصمد أمام الأمر الواقع؟ أيظل النبل حلما أو وهما سرعان ما يفيق منه الشخص على إحساس بالفشل والعجز والوحدة وعدم القدرة على المضي قدمًا إلى نهاية المشوار؟ هل هو في النهاية أمر ممكن إنسانيا وبشريا؟ *كيف نعاش النبل في عالم اليوم وما هي وسائل تحقيقه؟*

كثيرون يعتقدون باستحالة النبل. . . عديدو ن لا يؤمنون حتى بفائدته. . .

قليلون مَن يتقدمون إلى دربه. . . ونادر منهم مَن ينجح في تحقيقه. . .

للإجابة على هذه الأسئلة يأخذنا الأب دانيال لطفي في جولة شيقة بين العلوم الإنسانية والحياة الروحية ليصل بنا بسلاسة وبساطة إلى أن النبل أمر ممكن وحسن وجيد. . .كما يستعرض الوسائل التي تساعد على تحقيقه في حياة المكرّس. . . وقد اخترنا هذا البحث الذي قدّمه الأب دانيال للتخرّج من الكلية الإكليريكية وأعددناه للنشر تقديرا للمجهود الرائع المبذول منه وإدراكا لأهمية الموضوع للكثير من الشباب والدارسين والمكرّسين ومَن يفكر في التكرس والدعوة . . .فعسى أن يكون في ذلك فائدة للقراء. . .

الأب /بولس جرس

المدير الوطني للمنشآت البابوية بمصر

مقدمة الكاتب

نعيش اليوم إشراقة الألف الثالث للميلاد، في عالم يتسم بسرعة الحركة وتعقد العلاقات، فقد حلّ النسبي مكان المطلق، والثانوي موضع الأساسي. وبات الإنسان في حيرة من أمره في هذا العالم. أصبح الإعلاء لتحقيق الذات والنضج الإنساني من أصعب مشاريع الحياة. ويعتبر تكوين الأسرة وتربية الأبناء من أهم الخصائص المميزة للمجتمع الإنساني بصفة عامة ومجتمعنا الشرقي المتعدّد الديانات والثقافات بصفة خاصة. فهو لا يقبل "**التبتّل**" كنمط حياة، إذ ينظر إليه من جانب سلبي كحرمان وانفراد وعزلة. كما يعتقد أن العفة الكاملة أي "**التبتّل والانقطاع عن العلاقة الجنسية**" أمراً مناقضا بل وهدماً للطبيعة البشرية ويرى فيه البعض انتهاكاً للحقوق الطبيعية، بل شللاً لحيوية الإنسان وحدّاً يقلّص من طموحاته وتطلعاته.

كانت تلك من الأسباب الهامة التي دفعتني لاختيار موضوع بحث التخرج من الكلية الإكليريكية حول "**ديناميكية التبتّل والعاطفة**" لتوضيح دعوة الإنسان للرقي والإعلاء. فليس تحقيق الذات ولا الخلاص مرتبطين بالإشباع المباشر للغرائز والدوافع الإنسانية، وإلا تحوّل الإنسان وكأنه حيوان لا يعيش إلا ليأكل ويشرب، ويجمع ويخزن... لقد خلق الله الإنسان وميّزه بالعقل

والإرادة والعواطف النبيلة التي من شأنها أن توجّه الغرائز للسمو فالتبتّل "**كإعلاء**"؛ في الحياة الإنسانية أمر ممكن على أن يُنظر إليه نظرة إيجابية كانفتاح شامل نحو البشر جميعاً وبالتالي نحو الله. وعلى المستوى الإنساني، يساهم "**التبتّل**" في النمو وإنضاج "**الأنا**".

جاء البحث في مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة. وقد اتبعنا المنهج التحليلي في الفصلين "**الأول والثاني**" فتناولنا موضوعي "**العاطفة والتبتّل**" كلاً على حدة بنظرة، علمية وخاصة العلوم الإنسانية **الفلسفة، علم الاجتماع، علم النفس**، وكذلك بنظرة كتابية **كتاب مقدس**. ثم جاء الفصل الثالث كتطبيق للفصلين الأول والثاني، لتوضيح ديناميكية التبتّل- كأسلوب حياة- ودوره في النضج الإنساني والعاطفي. وقدّمنا مثلاً حياً لذلك (**القديس فرنسيس الأسيزي**) الذي عاش وحقق نضجه الإنساني واتحاده الكامل بالله من خلال تبتله. ثم جاءت الخاتمة لتشمل بعض النتائج والاستنتاجات في سبيل تحقيق نضوج إنساني واتزان عاطفي في حياة التبتّل.

الفصل الأول

العاطفة

الفصل الأول
العاطفة

مقدمة

منذ أجيال نادى الفيلسوف "**سقراط**" الإنسان قائلاً: "**اعرف نفسك**" فمعرفة النفس هي رأس المعارف، وجوانب معرفة النفس كثيرة ومتعددة، كالجانب النفسي والفكري والروحي والعاطفي...

ونتوقف في هذا الفصل عند الجانب العاطفي لما له من دور ضخم في سعادة الإنسان ونجاحه، ولأن قيمته من قيمة الله الذي منحه الإحساس بالرضى والنجاح والخير.. فمعرفة العواطف هي المدخل إلى معرفة النفس ويتوقف النضوج الإنساني على النضوج العاطفي.

فما هي عواطف الإنسان؟

وماذا تمثّل في الشخصية الإنسانية؟ وكيفية التعامل معها؟

هذا ما سنعرضه في هذا الفصل بنظرة تشمل: المفهوم اللغوي، مفهوم العلوم الإنسانية (الفلسفة وعلم الاجتماع)، نظرة الكتاب المقدس بعهديه، ثم المفهوم النفسي وسنتّبع رأي المدرسة التحليلية في المفهوم النفسي.

أولاً: المفهوم اللغوي للعاطفة

١- اللغة العربية

عَطَفَ: مال، يُقال عطفت الناقة على ولدها: أي حنّت عليه ودرَّ لبنها.

عاطفة: الجمع، عاطفات وعواطف، أي: الشفقة.[١].

العطوف: الشفوق المحسن

نستخلص من هذا، أن كلمة عاطفة أو عواطف تحتوي لغوياً على بعدين: الأول هو المشاعر والإحساس (الشفقة) أو (يشفق)، والثاني هو المشاركة الفعلية، الميل نحو أو الميل إلى أو الميل عن.

٢- في اللغات الأجنبية

أما في اللغات الأجنبية ذات الأصول اللاتينية، (الفرنسية) وكذلك الإنجليزية، نجد كلمتين تكملان بعضهما البعض: **Sentiment** الشعور أو الإحساس، بمعنى الدوافع الداخلية تجاه شخص أو شيء[٢]. **Emotion** تعاطف أو مشاركة المشاعر[٣]. فاللغات الأجنبية تميّز بين اللفظين **Sentiment** بمعنى الأحاسيس والمشاعر، **Emotion** بمعنى مشاركة المشاعر بطريقة تفاعلية أو الاتجاه العاطفي. بهذا المعنى، يفضّل علماء النفس الأمريكيون استعمال لفظ **Attitude** عن لفظ **Sentiment** أي اتجاه، وهذا اللفظ الأخير يساعدنا على فهم طبيعة العاطفة وتعريفها، فكلمة **Attitude** تفيد التأهّب والاستعداد، في حين أن كلمة **Sentiment** تفيد الشعور فقط[٤]. نستخلص من معنى العاطفة في اللغات العربية

---

[١] المنجد في اللغة والأعلام، باب العين تحت كلمة عَطَفَ.

[٢] قاموس هارب "HARB"، إنجليزي- عربي، تحت كلمة "Sentiment".

[٣] المصدر السابق، تحت كلمة "Emotion".

[٤] يوسف مراد، *مبادئ علم النفس العام*، ص١٦٢.

والأجنبية، أن المعنى في اللغة العربية أكثر تعبيراً، إذ تستخدم لغتنا لفظاً واحداً عطف وكما أوضحنا أنه يدل على البُعدين الشعور والميل إلى أو الميل عن في نفس الوقت. في حين أن اللغات الأجنبية تملك لفظين **Emotion ،Sentiment** ولكل منهما معنى يكمّل الآخر. وقد لاحظنا أن معنى العاطفة ينطوي على انفعالين متضادين: الحب (الميل نحو أو إلى)، الكُره (الميل عن) هذا ما سنراه من خلال دراسة موضوع العاطفة وما تقدمه العلوم الإنسانية من معانٍ أكثر تبحرٍ.

ثانياً: مفهوم العلوم الإنسانية للعاطفة

ما أكثر العلوم التي تتناول الإنسان بالدراسة، كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، والمتخصصون في كل علم يقدمون آراءهم حول الإنسان ومصيره، وما يشعر به، وما يسلكه من نهج في حياته. لكن يبقى الإنسان سراً ويظل البحث فيه مستمراً. وسنحاول أن نبسّط فكر هؤلاء العلماء المتخصصين، عن العواطف والميول والاتجاهات، كيف تتكون وكيف يصل الإنسان للنضوج في مسيرته. نبدأ أولاً برأي الفلاسفة، ثم علماء الاجتماع، ثم علماء النفس.

١- الفلسفة

تعلمنا الفلسفة أن نندهش أمام الظواهر، ثم نتساءل "لماذا؟". ومن هنا تفسّر لنا الفلسفة، أن العاطفة وردّات الفعل عند الإنسان هما استعداد نفسي، يؤدي بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية، خاصة تجاه شيء أو شخص أو جماعة أو فكرة معينة. فيقوم بسلوك معين، هذا السلوك تسميه الفلسفة "**ظاهرة**". ولكي تدرس الفلسفة هذه الظاهرة، عليها أن ترجع إلى جذور الظاهرة، التي في أساسها عاطفة. هذا الانفعال الوجداني الظاهر في السلوك، يمرّ بثلاث مراحل حتى يصبح سلوكاً يمكن دراسته:

المرحلة الأولى الانفعال: وهي كما ذكرنا الاستعداد النفسي، كالعواطف الخلقية، الاجتماعية، الوطنية، الدينية.

المرحلة الثانية التصوّر: هذه العواطف لا تخلو من تصوّر واضح أو غامض يكوّنه المرء، كأفكار أو مبادئ أو أسلوب معين من خلاله يعبّر عن هذه العواطف.

المرحلة الثالثة الفعل: المرحلة الثالثة والأخيرة يظهر فيها السلوك واضحاً معبراً عن نوعية العواطف التي أدّت إليه. بهذا الفعل، يكشف المرء عما يشغله ويثير اهتمامه. وقد لا تكون الحقائق التي نكشف عنها بعواطفنا حجة أو سبباً لهذه الانفعالات أو الظواهر ليقتنع بها غيرنا من الناس، إلا إذا حدث لهم من الكشف ما حدث لنا[°].ويعتبر الفلاسفة المرحلة الأخيرة أنها "**فعل أخلاقي**". ينبع عن فضيلة ما في الإنسان، وليس المجال هنا لدراسة تطور المفهوم الأخلاقي تاريخياً، بل نكتفي بعرض النظرة الفلسفية للأخلاق بصورة عامة.

أ- النظرة القديمة للأخلاق

شغل موضوع الأخلاق كثيراً من الفلاسفة منذ القِدَم، فكان أفلاطون ينادي بأخلاق أكثر مثالية ونظرية، لبناء المجتمع والدولة، كناحية تنظيمية. ثم جاء **أرسطو** فنزل بالأخلاق إلى الواقعية، وبحث في الأخلاق التي تسبب السعادة، فرأى أن أهم عنصر في الحياة الخيّرة عند عامة الناس، يقوم في فعل الخير. وفعل الخير في رأي **أرسطو** هو الفضيلة النابعة عن حب الآخرين، وربط بين الفضيلة

[°] جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، ص٤٣، ٤٤.

والسعادة التي تقوم على العقل والنفس[٦]. وإذا أمعنا النظر، إلى مذهب **أرسطو** في السعادة، نجد أنه ربط مفهوم **"السعادة"** بمفهوم **"الكمال"** أو **"تحقيق الـذات"**. كما ربط السعادة بحياة الآلهة. إذ وجد أن **"السعادة"** الحقيقية، تبقى عند الآلهة، فبقيت السعادة عنده حلماً إلهياً بعيد المنال[٧]. يتضح من ثم، أن السعادة في مفهوم **أرسطو**، تعتمد على العقل والنفس، والحال أن الآلهة في نظره عقول مجردة، وهذا عكس طبيعة الإنسان المكوّن من جسد ونفس. وعلى العكس من ذلك ذهب الأبيقوريون[٨]، إلى أن تحقيق السعادة يكمن في إشباع الرغبات وبالتالي قدّسوا اللذة، وركزوا على **"الجسد"** و **"المتعة"**. حيث نادوا بأنها الكيفية الوحيدة، التي تصبح بمقتضاها **"الخبرة"** ذات قيمة، وأن الإنسان ينشد اللذة كالحيوان بدافع غريزي لا أثر فيه للتفكير، أو التعليم. كما اهتموا باللذات الروحية، واعتبروا الأخلاق بمثابة تهذيب لتلك اللذات النبيلة (كالصداقة ، حب الجمال، الحكمة،...الخ)[٩]. ونلاحظ هنا، الفصل بين **"الجسد"** كعنصر مادي، و **"العقل والنفس"** كعنصر روحي واضح في تعليم الأبيقوريين؛ فاللذة تعتمد على الخبرة المادية، أي من خلال الجسد فقط. جاء الرواقيون[١٠] واهتموا بالأخلاق، وكان

---

[٦] وليام ليلي، *المدخل إلى علم الأخلاق*، ترجمة علي عبد المعطي محمد، ص١٧٥-١٩٦.

[٧] زكريا إبراهيم (د.)، *المشكلة الخلقية*، ص١٤٦-١٤٧.

[٨] **الأبيقوريون**، نسبة لأبيقور الفيلسوف اليوناني، وُلد بأثينا سنة ٣٤١ق.م وتتلمذ في ساموس ثم عاد إلى أثينا سنة ٣٠٦ق.م، وأسس مدرسة جمع فيها عدداً من الأصدقاء، ومات ٢٧٠ق.م. ألّف إبيقور عدداً كبيراً من الكتب، ضاع أغلبها ولم يبق منها غير شذرات ورسائل ثلاث ويظهر تعليمه في الفضيلة والحدس والأخلاق.
راجع *الموسوعة الفلسفية*، الألف كتاب ٤٨١، ص١٤-١٦.

[٩] زكريا إبراهيم (د.)، *المشكلة الخلقية*، ص١٢٢-١٢٣.

[١٠] **الرواقيون**، نسبة إلى الرواق حيث كانوا يتعلمون على يد مؤسسهم (زينون الكيتوي) في أثينا، في القرن الرابع قبل الميلاد، كان تعريفهم للسعادة "غاية الإنسان": هو "أن يعيش على وفاق مع الطبيعة". جاء مذهبهم في وقت انهارت فيه المدينة اليونانية بسبب الفراغ الأخلاقي.
راجع *الموسوعة الفلسفية المختصرة*، الألف كتاب ٤٨١، ص١٦٢، ١٦٤.

محور ارتكازهم هو التوحيد بين "**الفضيلة والسعادة**". واعتبروا أن السعادة لا تخرج عن كونها مجرد وعي أو شعور بالسلوك الخيّر. كما رفض الرواقيون مبدأ اللذة، فهم لا يرون في الانفعالات سوى أهواء حقيرة يجب استبعادها. واصطبغت الفضيلة عندهم بصبغة عقلية بحتة، وفقدت كل طابع وجداني أو عاطفي أو انفعالي، وأصبحت فلسفة الرواقيين، لا تصل إلى تحقيق الذات، من خلال إشباع شتى القوى الكامنة في الإنسان[11]. والتطرف هنا هو الميل إلى "**العقل**" وتجاهل تأثر الإنسان "**بالعاطفة والوجدان**". فقد فاتهم أن الإنسان كائن له أفكاره وعواطفه ورغباته.

ب- الأخلاق عند القديس توما الإكويني[12]

من القضايا التي تعرّض لها القديس توما الإكويني، موضوع "**الفضائل**" إذ يرى أن الفضيلة الحقيقية، هي التي توجّه الإنسان إلى خيره الأساسي، فلا فضيلة حقيقية بلا محبة. فالفضيلة وسيلة تحقق الغاية، وهي الخير الأساسي الذي يوجه الإنسان إلى الله الخير المطلق. وبالرغم من أن القديس توما الإكويني يقدّس العقل السليم، إلا أنه يرى أنه أعجز من أن يسدّ جوع الإنسان إلى الحق، فهو لا يخفي صوت الوجدان المدوّي في الأعماق. ويحفظ معطيات الوجدان وتعاليم الإيمان[13]. وينظر القديس توما إلى اللذة على أنها إيجابية، وطبيعية، ولكنها تتطلب تحكماً وتوازناً. ويرى أن العفة فضيلة تخص اللذة الجنسية، وهي تنظم حياة

---

[11] زكريا إبراهيم (د.)، *المشكلة الخلقية*، ص١٤٧-١٥١.

[12] القديس توما الإكويني، وُلد بمدينة إكوينو الإيطالية، انضم إلى رهبنة الدومنيكان، ودرس الفلسفة واللاهوت وأصبح من رواد الفلسفة في القرون الوسطى، اطلع على فلسفة أرسطو وأعجب بها وفسّر أغلب مؤلفاته. طوّع الفلسفة لخدمة القضايا اللاهوتية، ومن أشهر ما كتب "الخلاصة اللاهوتية"، عن الله مبدأ وغاية الكائنات. راجع ميخائيل ضومط، *توما الإكويني*، ص٩-١٧.

[13] ميخائيل ضومط، *توما الإكويني*، ص٩١-١٤٢.

الإنسان الجنسية، ليحيا حياته بصورة أكثر كمالاً. وأن الرغبات الإنسانية هي رغبات طبيعية، وهي حقوق طبيعية على الإنسان أن يحياها، ولكن يمكنه أحياناً التنازل عنها في سبيل السمو. ويربط القديس توما العفة كفضيلة باللمس، ويرى أن اللذة تأتي من الإحساس، فالعفة لا تعني موت الإحساس عند الإنسان، بل العفة تحيا في الإنسان الحي بجسده، من أجل المحبة التي هي أساس الفضيلة[١٤]

واضح من تعليم القديس توما، أنه نظر إلى الإنسان كوحدة واحدة، من جسد ونفس وعقل، لا يمكن الفصل بينهم وبالتالي يصبح سمو الإنسان شاملاً في وحدته. وأن الإنسان الحي هو حي بجسده أيضاً، بكل ما يتضمنه من شعور وأحاسيس وانفعالات ولذّات، وأن العفة هي مفتاح التحكم والتوازن، وبها يسمو الإنسان بأهوائه من أجل المحبة.

خلاصة: من عرضنا السابق لتعليم الفلسفة والفلاسفة، رأينا كيف تأرجحت الآراء حول الأخلاق والفضيلة والسعادة واللذة، بين التطرف والاتزان. فهناك من اتجه إلى الحياة النظرية، ومن قدّس اللذة والجسد واعتبرهما غاية. وهناك المعتدل، الذي وضع هذه الموضوعات تحت بند الوسائل، لأجل تحقيق السعادة بالوصول إلى الخير المطلق.

٢- علم الاجتماع

يدرس علم الاجتماع الظواهر السلوكية للفرد والجماعة، ويدرس أيضاً الإنسان ككائن اجتماعي يعيش وسط جماعة، يؤثر فيها وتؤثر فيه، وأول هذه الجماعات هي الأسرة، التي تُعتبر بمثابة مجتمع صغير، ينمو فيه الإنسان.

---

[١٤] أوليفر بورج اليسوعي (الأب)، *محاضرات عن "العفة والتبتل والعذروية"*، بمعهد اللاهوت بالسكاكيني.

ولكنه يحتاج إلى مجتمع أكبر منه، مثل المدرسة أو الكنيسة، ليظهر سلوكاً اجتماعياً مناسباً متأثراً بالآخرين حيث يختار منهم المثل الأعلى أو القدوة والذي يؤثر بطريقة كبيرة في توجيه تصرفاته... وسنحاول الآن، عرض بعض المفاهيم الاجتماعية عن العاطفة والانفعال. آخذين في الاعتبار، اعتماد علم الاجتماع على علم النفس، في شرح السلوك الاجتماعي للفرد داخل المجتمع.

أ- التعريف الاجتماعي

- **الانفعال Emotion**: العاطفة هي تجربة شعورية معقدة، تتضمن إثارة استجابات عضوية ونفسية، هذه التجربة قد تكون سارة أو غير سارة. تتميز بالمشاعر القوية، أو التوتر أو الإثارة. فالغضب، الخوف، السرور والحب من أمثلة تلك العواطف والخبرات التي يعيشها الإنسان معبراً عنها في سلوك اجتماعي بحسب نوع كل عاطفة[١٥].

- **الشعور Sentiment**: يرى علماء الاجتماع أن الشعور هو نموذج من الميول الانفعالية الثابتة، التي توجد لدى الفرد في علاقته بشخص، أو شيء أو فكرة. وتشكل هذه الميول الانفعالية معتقدات واتجاهات كالعاطفة الوطنية والدينية...

يتضح لنا، من تعريف علم الاجتماع لمعنى العاطفة كسلوك واستعداد، أنه يمكننا، أن نتعرّف على سلوك الفرد من خلال معرفة عواطفه، واتجاهاته، تجاه الجماعة أو الفرقة أو الوطن أو الهيئات السياسية أو الدينية. وعادة ما تتركز هذه العواطف في شخص واحد بارز، يكون رمزاً قوياً للجماعة أو الفرقة... والمثل

---

[١٥] محمد عاطف غيث (د.)، *قاموس علم الاجتماع*، تحت كلمة "عاطفة" "Emotion"، ص١٥٦.

الأسمى لها. وهذا ما سنراه أيضاً في مفهوم علم النفس عن التقمّص أو التشخّص ودور المثل الأعلى في تربية العواطف. ويعتبر علماء الاجتماع أن المقياس الحقيقي للسلوك الاجتماعي السوي للفرد تجاه الجماعة، يعتمد على عنصرين هامين هما: الاستبصار الوجداني والنضج الانفعالي، وهذا ما سنوضحه.

ب- الاستبصار الوجداني Empathy:

هو رؤية الفرد ومقدرته على أن يضع نفسه محل الآخر، بطريقة تخيلية، أي قدرته على فهم دور الآخر، لكن دون أن يفقد موضوعيته. وقد يتفهم أحد الأفراد شخصاً آخر دون أن يتعاطف معه بالضرورة[١٦]. من هنا تتضح لنا أهمية البصيرة الوجدانية عند الفرد التي تؤثر في ارتباطه بالجماعة ارتباطاً حقيقياً، وليصبح عضواً فعالاً يؤثر ويتأثر بالجماعة، وإذا كان الترابط بين الجماعة قوياً بحيث ينتج عنه أسس ومبادئ تحيا بها الجماعة، فإن البصيرة الوجدانية بينهم تمنح لهذه الأسس والمبادئ روحاً وحياة.

جـ- النضج الانفعالي Emotional Maturity:

يُقاس النضج الانفعالي للفرد، من خلال سلوكه الانفعالي الذي يساير ما يتوقعه المجتمع من الفرد، في مستوى عمري معين. هذا النضج يتوقف على النمو النفسي للفرد، بالنسبة لسرعة نموه الجسدي وعمره الزمني. كما يتضمن هذا السلوك فهماً ناضجاً للذات وللآخرين، وقدرة على ضبط الاندفاع الطفلي[١٧]. ومن هنا، يركّز علم الاجتماع، على أهمية تنشئة العواطف لدى

---

[١٦] المصدر السابق، ص١٥٧.

[١٧] المصدر السابق، ص١٥٧.

الطفل بين دفء الأسرة، لأن الانفعال الطفلي يبقى داخل الإنسان حتى إذا تقدّم في عمره الزمني، وقد يظهر في سلوك معين، فيكون تحليلنا لهذا السلوك، بناء على قدرة الإنسان على ضبط الانفعال الطفلي.

خلاصة: من عرض مفهوم العاطفة في علم الاجتماع، نرى كيف تلعب العواطف دوراً هاماً في سلوك الفرد والجماعة معاً، وكيف تزيد البصيرة الوجدانية من الروابط الجماعية، وتعطي معنىً للمبادئ والأسس التي تنظم حياة الجماعة. بل تعطيها ميزة تمتاز بها عن أي جماعة أخرى. هكذا يقيس علم الاجتماع النضج الانفعالي، لدى الفرد، من خلال مراقبة سلوكه، وفهمه لذاته وللآخرين، والقدرة على ضبط النفس أثناء الانفعال. فتربية العواطف، وتنمية البصيرة الوجدانية، والوصول بالفرد إلى النضج الانفعالي، تعتمد جميعاً على الأسرة كمجتمع صغير، وعلى المؤسسات التربوية كالمدرسة والكنيسة والجامع. وقد يبدو لنا من خلال دراستنا لموضوع العواطف، من وجهة نظر علم الاجتماع، أننا نتحدث بلغة علم النفس، لكن هذا المزج بين العلمين يُعتبر تكاملاً هاماً. وهذا يدفعنا لدراسة أكثر عمقاً لمفهوم العاطفة في علم النفس وسنترك هذا لما بعد دراسة الموضوع في الكتاب المقدس بعهديه.

ثالثاً: مفهوم الكتاب المقدس للعاطفة

تقديم: لا يحتوي الكتاب المقدس بعهديه، على تعريف محدد للعاطفة، أو الانفعال أو الشعور، لأنه ليس كتاب علم، بل كتاب وحي. فهو يحكي قصة

حب حقيقية، بدأت ولن تنتهي إلى الأبد. إنها قصة حب الله المجاني للإنسان، من خلال عهد أبدي، منذ أن خلقه من فيض حبه ليشاركه هذا الحب الأبـدي. إلا أننا، نستشف أسمى معان العاطفة وأقدسها، من خلال المواقف والتعـاليم الـتي يزخر بها الكتاب المقدس بعهديه. وسنحاول أن نقتبس بعضاً من هذه المواقـف، الدالة على عاطفة الله تجاه الإنسان، وكيف عبّرت الأسفار المقدسة عـن هـذه العاطفة، مروراً بالعهد القديم أولاً، إلى أن نصل إلى قمة تعـبير الله العـاطفي في العهد الجديد من خلال سر فصح الابن: (حياته وآلامه وموته وقيامته)، كتعـبير حي ملموس عن عاطفة الله الفيّاضة تجاه الإنسان.

١- العهد القديم

أ- الخلق عاطفة حب مجانية

يبدأ سفر التكوين بتصوير عملية الخلق المعبّرة عن حب الله، ورغبته في خلق تاج الخليقة **"الإنسان"**. فقد هيّأ الله الكون أولاً، ليكون مكانـاً مناسـباً للخليقة البشرية الجديدة، فخلق السماء والأرض والبحار، والنباتات والحيوانات، وزيّن الكون بالأضواء الباهرة الدائمة، وأخيراً قال الله: ***"لنصنع الإنسان علـى صورتنا كمثالنا"*** (تك١/٢٦). إن لفظ **"صورة"** المحسوس، ينطوي على تشـابه مادي، فعلاقة الإنسان مع الله تميزه عن الحيوانات، وتفترض وجود تشابه عام في الطبيعة (عقل وإرادة وقدرة وحب). تكتمل عاطفة الإنسان حينما خلق المعين له إذ قال الله: ***"لا يحسن أن يكون الإنسان وحده، فلأصنعن له عونـاً يناسـبه"*** (تك٢/١٨)، يتبادل معه الفكر والعواطف، ويشاركه المسـؤولية في مشـروع الحياة. هكذا خلق الله قطبي الحياة **"الرجل والمرأة"**، كعلامة حيّة لحبه للإنسان.

ب- صورة الله في لغة الكتّاب

استعار كتّاب العهد القديم، لغة وأسلوب العالم المرئي، للتحدّث عن الله، فقد قدموه بشكل حسي، وعبّروا عن هذا الفكر بلغة حسية تختلف باختلاف كل كاتب، فوصفوه في شكله ومشاعره وصفاً شبيهاً بالإنسان، فهو يتكلم، يفرح، يتألم، يندم، يغضب... إلا أنه مميز عن الإنسان في كماله وقداسته.

جـ- وجه الله

من التعبيرات الأكثر شيوعاً في العهد القديم **"وجه الله"**، فهو يعبّر عن حضور الله ***"سمى يعقوب المكان فنوئيل قائلاً: إني رأيت الرب وجهاً لوجه"*** (تك ٣٢/٣١)[١٨]. والوجه هو مرآة التعبير، فهو صفحة ترتسم خلال تعبيراتها المختلفة، مختلف العواطف والانفعالات، وما يدور في النفس من فكر وإحساس. بمثل هذه اللغة استطاع الإنسان أن يصف صورة الله ويقدمها للناس، في ردات فعله تجاه العهد وتمسكه به، فيُسر تارة لأمانة الشعب، ويرضى عنهم، ويغضب ويثور تارة أخرى لخيانة الشعب لعهده. كما استخدموا الصفات الأدبية والأخلاقية بمحدوديتها، في وصف مشاعر الله وعواطفه مثل الغيرة كعاطفة جيّاشة ***"لا تسجد لها ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك إله غيور"*** (خر ٢٠/٥). فعاطفة الغيرة الإلهية تنبع من الأمانة للعهد. والعهد القديم غني بالمفردات الدالة على محبة الله. فنجد كلمة **"حيسيد"** وهي تشير إلى مجانية العطاء والصدق والصداقة، والرغبة في التبادل والاتحاد بين الأشخاص. وتدل أيضاً على التعاطف العميق الذي يتجاوز الحس نحو المشاركة الفعلية. وكذلك كلمة **"ريحيم"** هي قريبة من حيسيد، وتركّز على العلاقة الجسدية، أي **"الرحم"** أو أحشاء الأم.

---

[١٨] *دائرة المعارف الكتابية*، الجزء الأول، ص٣٧٨.

لذلك نجد تعبير "**تحركت أحشاؤه**" فرحاً أو ألماً مشاركة في اللقاء الشخصي[19] "*قد انقلب فيّ فؤادي واضطرمت أحشائي*" (هو ١١/٨). فمحبة الله هي الله نفسه، وإن تعددت في صور عاطفية مختلفة كالرأفة والإحسان والحنان، وتحوّلت إلى الغضب، فالله هو هو لا يتغيّر وحبه ثابت يحرّر الإنسان ويخلّصه.

خلاصة: يمكننا أن نستشف من تعاليم العهد القديم، أن العاطفة والانفعال عند الله جوهرهما الحب. لا توجد عاطفة حقد أو كره عند الله فهو المحبة، فالله الخالق من فيض حبه لا يترك صنعة يديه، بل يهتم بها ويبادلها الحب المحرّر، الذي يدفع الإنسان نحو الخلاص. وعلى الإنسان أن يعي، أن الله المحبة هو المصدر لكل نبتة حب في داخله، وأن يعي أيضاً قصد الوحي الإلهي فحتى إذا غضب الله، فغضبه صادر عن حب لصالح الإنسان وحريته. هكذا عبّر كتّاب العهد القديم باللغة البشرية عن طبيعة عاطفة الله المحبّة.

٢- العهد الجديد

يعلن الوحي الإلهي في سفر ارميا، عن اتجاه الشريعة الجديد "*أجعل شريعتي في بواطنهم، وأكتبها على قلوبهم*" (إر ٣١/٣٣). من جديد تلمس الشريعة المقدسة قلب الإنسان، مركز عواطفه، فتقدسها وتوجهها. وتُعدها لاستقبال المسيا كلمة الله. فلابد من قلب يعيش ويحس ويشترك في أفراح وأحزان الإنسان قلب يسوع الإنسان.

أ- يسوع تجسيد للعواطف الإلهية

رأينا صوراً مختلفة من عواطف الله، كالرحمة والحنان والرأفة والغضب، وفهمنا أنها في جوهرها افتقاد مستمر للإنسان. وها إن الله يواصل افتقاده لشعبه،

---

[19] فرانسوا فاريون اليسوعي (الأب)، "*إلهنا يتألم*"، ص٣٠.

وفي ملء الأزمنة يحل في الابن (عب١/١-٢). تلك المشاعر والمشاركات الوجدانية الإلهية، أصبحت مجسّدة بشراً ملموساً، يشعر ويتعطف ويشفق، بل ويتألم أيضاً لأجل الإنسان "*هكذا أحب الله العالم...*". ما أبلغ تعبير القديس بولس عن تجسّد عاطفة الله، إذ يقول لتلميذه تيطس: "***فإننا نحن أيضاً كنا بالأمس أغبياء... عبيداً لمختلف الشهوات... فلما ظهر لطف الله مخلصنا ومحبته للبشر... على قدر رحمته، خلصنا بغسل الميلاد الثاني والتجديد من الروح القدس***" (تيطس٣/٣-٥).

ب- فصح الرب عاطفة حب

١) *حياة شفقة:* ما أكثر المواقف المذكورة في الأناجيل، عن شفقة وتحنن يسوع على الإنسان المتألم والمحتاج، فنجده يشفي المرضى، يُشبع الجياع، يقيم الموتى. فيسكب شفقته على الأم الأرملة، التي تبكي فقدان وحيدها، ولا يقتصر على المشاركة العاطفية وحدها فيتحنن، ولكنه يلبي احتياجها لابنها ويعيد إلى الشاب الميت الحياة، ويحوّل حزن وبكاء الأم إلى فرح وانتصار (لو٧: ١١-١٥)، ومشاركة يسوع في عرس قانا الجليل (يو٢) مشاركة فعليّة، فقد فرح معهم وسد حاجاتهم. وشعر بألم الرجل صاحب اليد اليابسة (لو٦:٦-١١) ولهفة المرأة المنحنية الظهر (لو١٣: ١٠-١٣). وبؤس الرجل الكسيح (لو٥: ١٧-٢٦). لقد حمل الألم واحتمل الأوجاع، حمل كل عاطفة الألم والحزن، وبادلها بالحب والمشاركة الفعلية. هكذا عاش يسوع مشفقاً على النفس والجسد، غافراً لخطايا النفس شافياً أمراض الجسد.

٢) ***لقاء العواطف في الصليب: "طُعن بسبب معاصينا وسُحق بسبب آثامنا... وبجرحه شُفينا"*** (أش٥٣/٥) جاء الصليب كمرحلة حاسمة في حياة يسوع، يبرهن على حبه العميق والمضحي لأجل أحبائه، فما بخل بحياته، بل لبس العار وكسا البشرية النصرة. كان الموت والفناء مصير البشرية جمعاء، لكن يسوع أراد أن يجسّد كل مشاعر الحب والرحمة والرأفة، إنها مشاعر مقدسة إلهية، لكنه فضّل أن يصلبها ليقدس مشاعر الإنسان المدنسة والرديئة. في ذبيحة الصليب، جمع يسوع عواطف الله تجاه الإنسان، مع عواطف الإنسان تجاه أخيه الإنسان في البعدين الأفقي والرأسي، والتقيا في جنبه المفتوح، فتقدست عواطف الإنسان وأصبح للألم معنىً جديداً عند الإنسان. وهكذا زرع نبت الحب، كشريعة جديدة، مكتوبة في باطن القلب، وليس على حجارة منحوتة.

٣) ***القيامة انطلاق للعواطف الإنسانية: "إنه ليس ههنا، فقد قام كما قال.. إنه قام من بين الأموات"*** (مت٢٨/٦، ٧) القيامة هي حدث تاريخي إيماني وأساس البشارة الإنجيلية، ترى ماذا لو لم يقم المسيح؟ لما كان لحدثي التجسد والموت شأناً. ولسادت خيبة الأمل كعاطفة سائدة تقف حائلاً في وجه الرجاء. إنما القيامة حدثت بالفعل، وهي صخرة الإيمان؛ فمع المسيح القائم قامت عواطف مقدسة، وكشفت طريقاً جديداً للحياة المسيحية، إنه طريق التكريس الكلي. فلا معنى للبتولية المكرّسة إلا في نور القيامة. بالقيامة أصبحت النظرة جديدة والرؤية جليّة، ففي العلاقة بالآخر، يعيش المكرّس عواطف الحب

وتقدير الذات. ويصبح الطريق بيّناً مفتوحاً للقبول المتبادل في المسيح وبالمسيح ومع المسيح القائم. لقد فتحت القيامة الطريق أمام الذات فأصبح الإنسان يقبل ذاته ويقدرها ويقوم كل يوم بعواطف منطلقة.

خلاصة: إن بشارة العهد الجديد بشارة فرح وسلام، تمثّل تغييراً جذرياً في نوعية وطبيعة العلاقة بين الإنسان والله، والإنسان وأخيه الإنسان، إذ هي بشارة خلاص وتحرير للإنسان من كل ما يعوقه لتحقيق ذاته. فحدث الفصح يدعو الإنسان ليختبره في عواطفه، فيختبر كيف يشارك الآخرين في أفراحهم وآلامهم، ويختبر الموت والإماتة في حياته وفي عواطفه، ليس بمعنى الكبت أو القمع، وإنما إماتة من أجل القيامة، فيختبر الانطلاق من جديد. ويبقى المجال مفتوحاً للتأمل في شفقة يسوع وتعاونه الفعّال كل يوم.

رابعاً: المفهوم النفسي للعاطفة

١- التعريف النفسي

يميز علم النفس بين الشعور والانفعال، كما يميز علم الاجتماع بينهما، وهما يتفقان في هذا المجال. فالشعور هو استعداد أو ميل نحو فكرة أو موضوع، وهو ليس مجرد تجربة، ولكنه جزء من تكوين الفرد، ويعبر عنه أحياناً بشكل عام بأنه: (الفكرة + الانفعال)[٢٠] ويتميز بالثبات. في حين أن الانفعال هو تجربة أو خبرة عاطفية شعورية عابرة[٢١].

---

[٢٠] *دائرة المعارف الكتابية*، الجزء الثالث، تحت كلمة "حب" ص٧-٩.

[٢١] عبد المنعم الحفني، *موسوعة علم النفس والتحليل النفسي*، إنجليزي/ عربي، تحت كلمة Sentiment.

يتضح لنا من التعريفات السابقة للعاطفة أن: كل لفظة تظل ناقصة المعنى إن لم تكتمل بالأخرى، فالشعور هو استعداد فقط لا يظهر إلا عن طريق الانفعال الشعوري. ولذلك استبدل علماء النفس الأمريكيين- لفظة **Sentiment** بلفظة **Attitude** بمعنى الاتجاه. وبذلك يتضح ويكتمل معنى العاطفة كاستعداد وجداني للشعور بتجربة وجدانية خاصة، وللقيام بسلوك معين إزاء شخص أو شيء أو فكرة مجردة. والعاطفة هي أيضاً استعداد مكتسب، لكنها تنبت في ثنايا الميول الفطرية، ثم تتأثر بالعوامل الاجتماعية، وتنمو وتقوى تحت تأثير الفكر "**العقل**" (هذا ما سنراه في تأثير العقل على العواطف) والتأمل والتجارب الانفعالية[٢٢]. فتصبح الفرصة متاحة للاستفادة من كل تجربة عاطفية مفرحة كانت أو مؤلمة.

أ- العواطف الرئيسية

بعد تحديد المفهوم النفسي للعاطفة، نتعرّف الآن على العواطف الرئيسية:

كل عاطفة من العواطف لابد وأن تتجه نحو موضوع معين أو تنصرف عنه؛ فإذا اتجهت نحوه أدرجت تحت عاطفة الحب، وإذا انصرفت عنه أدرجت تحت عاطفة الكره.

١) *الحب:* الحب عاطفة رئيسية مكوِّنة لشخصية الإنسان وتنبع منها عواطف الفرح والسعادة والوداعة، والحنان والعفاف والعطف، والصداقة والاحترام والتقدير... كما أن عاطفة "**اعتبار الذات**" و "**حب الذات**" تنبع أساساً من عاطفة الحب.

---

[٢٢] منير وهبه الخازن، *معجم مصطلحات علم النفس*، تحت كلمة "Sentiment"، ص١٣٥.

٢) *الكره:* يقابل عاطفة الحب أو الميل إلى عاطفة الكره أو الميل عن ويُدرج تحتها عواطف الحقد والحسد والغضب والحزن... فعاطفتا الحب والكره، هما العاطفتان الرئيسيتان الموجودتان خلف كل عاطفة[٢٣]. وسوف نركز في دراستنا على العاطفة الأولى "**الحب**" وبالتحديد على عاطفة "**اعتبار الذات**".

٢- عاطفة اعتبار الذات من خلال المدرسة التحليلية

لا يمكننا أن نتكلم عن عاطفة "**اعتبار الذات**"، كعاطفة أساسية تنبع منها كل العواطف الموجهة للسلوك، إلا بالبحث عن الذات الإنسانية في مفهومها وكيف يمكن للإنسان أن يحقق ذاته؟ وسنعرض لنظرية الذات عند أكبر علماء النفس من المدرسة التحليلية وهم: "**فرويد**"، "**يونج**"، "**ادلر**".

أ- فرويد[٢٤] (١٨٥٦-١٩٣٩)

يعتبر فرويد أول من وضع مقدمات منطقية، أساسية لدراسة الشخصية. وسنشير إلى تلك المقدمات ونرى ما توصل إليه فرويد في تعريفه للذات وماهية عاطفة "**اعتبار الذات**" عنده.

---

[٢٣] يوسف مراد، *مبادئ علم النفس العام*، ص١٦٢.

[٢٤] **سيجموند فرويد**، طبيب نفسي، نمساوي الجنسية، مؤسس مدرسة التحليل النفسي، تعتمد آراؤه على نظريته في تطور الغريزة الجنسية منذ الطفولة، من أهم كتاباته؛ تفسير الأحلام، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، مدخل إلى التحليل النفسي. راجع، *الموسوعة الفلسفية المختصرة*، الألف كتاب ٤٨١، ص٢٨٧.

١) *العناصر الثلاثة للشخصية:* يعتبر فرويد أن الشخصية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية: الهو، الأنا، الأنا الأعلى، ولكل منها خصائصه التي تميزه عن العنصرين الآخرين.

- **الهو**: النظام الأصلي للشخصية ويعتبر أساساً لكل حياة إنسانية، يحوي كل ما هو موروث أو غريزي يخضع الهو لمبدأ اللذة فقط ويبحث عنها، ويتجنب الألم، ويحاول أن يحقق ذاته دون مراعاة لحاجات الآخرين.

- **الأنا**: يتبع الأنا مبدأ الواقع، وهو امتداد للهو وغير مستقل عنه، بل الأنا هو الجزء المنظم لحاجات الهو، ويستمتع بكل الإشباعات التي يسمح للهو أن يستمتع بها.
- **الأنا الأعلى**: هو المكوّن الثالث للشخصية، إنه داخل الإنسان وليس مجموعة قوانين، إنه مثالي وليس واقعي، وفي مرحلة الطفولة تمثل سلطة الوالدين الأنا الأعلى للطفل. وبتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين.

تلك العناصر الأساسية لبناء الشخصية، ليست وحدات منفصلة وإنما تنضج الشخصية نتيجة لتفاعلها والعمل معاً بانسجام ودون أن تطغى واحدة على الأخرى وبلا كبت؛ حيث تنشأ عاطفة "اعتبار الذات" نتيجة لهذا التفاعل فيكوّن المرء فكرة عن نفسه، إذ يعي بحاجات الهو وضبط الأنا كما تتضح له المثل العليا والتعيين في الأنا الأعلى.

٢) *مفهوم الغريزة:* أعطى "**فرويد**" اهتماماً كبيراً لمفهوم الغريزة، ولكنه لم يضع تعريفاً محدداً لها بل كان يطلق عليها لفظة "**الحوافز أو الحاجات الإنسانية**" وهي نوعين:

الأول: هو الحاجات الجسمية كالجوع والعطش... وإشباع هذه الحاجات أمر حيوي لبقاء الإنسان. أما النوع **الثاني**: فهو غرائز حب الحياة. وقد رأى فرويد أن غريزة الحياة هي "**الليبيدو**" التي تتركز في "**الهو**" وتجد إشباعها من الحوافز الجنسية. ويرى فرويد أن بناء الشخصية الناضجة يعتمد أساساً، على مرحلة الطفولة. فهي التي تحدد ما سيكون عليه الفرد في الكبر، ولكن يمكن إحداث تغييرات طفيفة أثناء النمو.

٣) *النضوج العاطفي:* يرتبط النضج العاطفي بنضوج الشخصية ككل. ويعطي فرويد أهمية كبرى للخمس سنوات الأولى من حياة الفرد باعتبارها الأساس الذي يُقام عليه كل بناء ونضوج للشخصية.

ويشير فرويد إلى أربعة مراحل تنمو من خلالها الشخصية وهي:

أ) **المرحلة الفمية:** عقب الولادة يستخدم الطفل شفتيه في الحصول على الطعام، ويُعتبر الطعام بالنسبة للطفل مصدر إشباع ولذة. لذا تتركز اللذة في المنطقة الفمية.

ب) **المرحلة الشرجية:** يشعر الطفل بألم وعدم ارتياح حينما تتجمع الفضلات في أمعائه، وتسبب له توتراً، وإخراج هذه الفضلات يسبب له ارتياحاً، ويتعلّم الطفل أن الحصول على اللذة والراحة، يتم بواسطة عملية الإخراج من المنطقة الشرجية.

ج) **المرحلة القضيبية:** بعد اجتياز الطفل السنتين الأوليتين، يبدأ في اكتشاف مناطق أخرى يستمد منها اللذة، ومن بين هذه المناطق الأعضاء التناسلية. وتبدأ الحياة الانفعالية والوجدانية في النمو والتعقد، ويعطي فرويد أهمية كبرى لهذه المرحلة فيرى أن فيها تتكون **"عقدة أوديب"** وهي تمثل التوتر والمعاناة التي يلاقيها الطفل في صلته بوالديه، فينشأ الحب عنده نتيجة علاقته بأمه، فهي مصدر غذائه وتلبية حاجاته. ويكتشف الطفل أن أباه منافس له في حبه لأمه. وفي هذه المرحلة لا يستطيع الطفل أن يكبح إحساسه بالغيرة، فيبدأ الكبت في الظهور مع استمرار النمو. ولكن من ناحية أخرى يكتشف الطفل الذكر أنه شبيه بأبيه، فتبدأ عملية التوحّد مع أبيه وهنا يبدأ التوتر الوجداني، ويقع الطفل في ازدواجية، فمن ناحية يحب أمه ولا يريد أن يشاركه أبوه في هذا الحب، ومن ناحية أخرى يتوحد بأبيه وتنشأ بينهما علاقة وجدانية. ويخشى الطفل وقوع عقاب عليه من أبيه، وفي اعتقاده أن العقاب هو عملية **"الإخصاء"** أي إزالة العضو الذكري وتسبب الازدواجية عند الطفل القلق وعدم تكيفه مع الواقع. وهذه المرحلة من أقوى المراحل تأثيراً على فترة المراهقة والفهم السليم للجنس. وعلى العكس تماماً عند البنت، فتتوحد بأبيها، وترى في أمها المنافس لها في حب أبيها، هذا بالإضافة إلى اكتشافها عدم وجود العضو الذكري، وتعتقد أن أمها هي المسؤولة عن إزالته بسبب الحقد عليها. ويظهر مبدأ الازدواجية عند الفتاة إذ أنها تتوحّد مع أمها التي تشترك معها في فقدان العضو الذكري. فيجمعها مع أمها شعور وجداني، ومن ناحية أخرى تنجذب إلى أبيها. ونتيجة لهذا التناقض الوجداني تظهر حالة القلق

الانفعالي عند الفتاة، تظهر نتيجته بوضوح في مرحلة المراهقـة، إذ تصبح أكثر تمرداً على الأم، ويتعدّل اتجاهها تدريجياً حتى توفـق في الحصول على شريك الحياة، وتكتشف كأم بعد ذلك ما تعيشه من تناقض وجداني نحو الجنس.

د) **مرحلة الكمون:** تتميز المراحل الثلاث الأولى بالنرجسـية، إذ يحصل الفرد على اللذة من تنبيه مناطق معينة من جسمه، ويميل إلى الانفراد بالشعور باللذة، ولا يهمه شعور الآخرين أو مشاركتهم في اللذة. وتأتي مرحلة الكمون (كمون جنسي) من سن السادسة حتى الثانية عشر في المناطق الحارة، وحتى الرابعة عشر في المناطق الباردة. ويتميز الكمون بعدم وجود توترات انفعالية، حيث يتجه الطفل إلى العمل الذهني، واليدوي والنشاط الاجتماعي. وتبدأ فترة المراهقـة فيتجه الحب عند المراهق ليختار موضوعاً حقيقياً ويشرع في حـب الآخرين، يساعده في ذلك الجاذبية الجنسية والتنشئة الاجتماعيـة. ومع نهاية المراهقة يتحول الفرد من النرجسية أو البحث عن اللـذة الذاتية، إلى شخص راشد تسيّره الحقيقة الواقعية والمجتمع.

خلاصة رأي فرويد: نستنتج مما سبق أن فرويد يعتمد على "الماضي" في تحليله للذات وعاطفة "اعتبار الذات". كما يعتمد على اللذة العضوية وخاصة الجنس التناسلي ويعلق فرويد أهمية الـ"أنا" على دوره كمنظم لمتطلبات الـ "هو" وعمله على الارتقاء من مستوى الغريزة البحت إلى الواقع، من خلال المُثل العليا التي يقدمها الأنا الأعلى. ويمكن الأخذ بنظرية فرويد في علاج العواطف المكبوتة، وكشف الأسباب أمام الأهداف، وذلك

بقراءة التاريخ أو الماضي العاطفي، واسترجاعه على مسرح الشعور للتخلص مما هو مكبوت وللانطلاق للأمام.

ب- يونج[٢٥] (١٨٧٥-١٩٦١)

تتبع نظرية "**يونج**" نظرية التحليل النفسي، لأنه يركز على العمليات اللاشعورية، إلا أنه يختلف في أسلوبه عن فرويد، ففي حين يؤكد فرويد الرابطة الوثيقة بالماضي وخاصة بالسنوات الخمسة الأولى، يؤكد يونج من جانبه على الحاضر كأساس لتفسير سلوك الفرد، كما يؤكد على ضرورة الرؤية الجديدة أو النظر إلى المستقبل كأسلوب علاج، وبذلك يتضح لنا أن يونج أكثر تفاؤلاً في نظرته للإنسان. ويرى يونج أن الشخصية تتكوّن من أجزاء أو نظم متعددة هي **"الأنا" و "اللاشعور الشخصي" و "اللاشعور الجمعي"**. هذا بالإضافة إلى الاتجاهات الانطوائية والانبساطية، والتفكير والوجدان والإحساس والحدس، وعلى قمة هذه الأنظمة "**الذات**" التي تتحقق من خلال تفاعل هذه الأنظمة بانسجام فيما بينها.

١) *"الأنا"*: تقع "**الذات**" ما بين الشعور واللاشعور، وهي التي تعطي للشخصية التوازن، ويحقق الإنسان هذا التوازن في سن متقدمة، بعد أن يجتاز المراهقة، وتحل الطاقة النفسية محل الطاقة الجسمية لإحداث التوازن في حياة الفرد، ويبدأ الفرد يستمتع بالحاجات الثقافية، ويرى "**يونج**" أن هذا التوازن الكامل نادراً ما يحدث بهذه

[٢٥] كارل جوستان يونج، طبيب نفسي، سويسري الجنسية، نُصّب أول رئيس للاتحاد الدولي للتحليل النفسي عام ١٩١٠م. ركز في نظريته عن الشخصية على العمليات اللاشعورية، ويؤكد يونج على الحاضر كأساس في تفسير سلوك الفرد، ويؤكد ضرورة الرؤية الجديدة إلى المستقبل كأسلوب حياة. راجع سيد محمد غنيم، *سيكولوجية الشخصية*، ص٥٧٠-٥٧١.

الصورة المثلى، إلا في حالات قليلة جداً في بعض الشخصيات الدينية كالرسل، وقد اهتم "يونج" بالدين وبالطقوس ودورهما في إحداث التوازن للنفس. ويعتبر "يونج" أن الوجدان عقلي منطقي. وعلى العقل أن يصدر الأحكام، وليس يهم أن يكون أساس الحكم هو الوجدان، ويرى "يونج" أن الإنسان ليس مجرد تراكم خبرات الماضي، إنه أيضاً مجموعة الأحلام والتطلعات نحو المستقبل وهي حقيقية، وذات أهمية في بلوغ تحقيق "الذات". وكلما زادت خبرات الفرد كان أكثر قدرة على توسيع ذاته[٢٦].

خلاصة رأي يونج: من خلال نظرية يونج عن الذات والشخصية، نستخلص أن عاطفة "اعتبار الذات" تنمو تدريجياً مع "الأنا" المسؤول عنها. فعن طريق "الأنا" يعرف الإنسان نفسه. وعاطفة "اعتبار الذات" هي معرفة الذات والوعي بها، وحينما تصل عاطفة "اعتبار الذات" لنضوجها، تكون الذات قد تحققت ويحدث التوازن الكامل للنفس أو الشخصية. ويؤكد "يونج" على أهمية المستقبل والرؤية الجديدة ولا ينكر أهمية خبرات الماضي لكنه لا يتوقف عندها. ويمكننا أن نستفيد من نظرية "يونج" في علاج العواطف، وتوجيه مسارها من خلال النظرة التفاؤلية لآمال ومستقبل الإنسان، انطلاقاً من فكرة تحقيق الذات كغاية يصبو إليها الإنسان.

---

[٢٦] ارجع إلى بولس جرس (الأب)، علم النفس الديني، مذكرات دراسية، المعادي، ٢٠٠٠. لاستكمال باقي عناصر الشخصية حسب يونج.

جـ- ادلر[٢٧] (١٨٧٠-١٩٣٧)

تتميز أفكار **"ادلر"** بالوضوح والتحديد، وهو مؤسس **"جماعة علم النفس الفردي"** في عام ١٩١٢م فهو من أصحاب النزعة الإنسانية وعلى مثال **"يونج"** فهو متفائل بالنسبة لمستقبل الإنسان، إذ يرى أن الإنسان لديه الفرصة ليصبح أفضل وأحسن مما هو عليه الآن.

١) *القصور:* لاحظ **"ادلر"** أن الإنسان قد يلجأ إلى عملية **"القصور"**، فيتحول إلى المرض، ليحل مشاكله غير العضوية، فيشعر أن الآخرين من حوله، يستطيعون القيام بالعديد من الأشياء التي يعجز عن القيام بها. ويعتبر **"ادلر" "القصور"** من أولى مقومات نمو الذات.

٢) *السيطرة:* ويعالج **"ادلر" "القصور"** بالسيطرة، فهو يرى أن الإنسان كائن يبحث عن القوة، حيث ذهب في تفكيره إلى أن الإنسان حيوان عدواني، وبسبب هذا السلوك العدواني بقي الإنسان على قيد الحياة؛ فاستنتج أن العدوان أكثر أهمية من الجنس. وتطور تفكيره من خلال معالجة مرضاه، إلا أن صفة عدواني لا يمكن أن يطلقها بصورة مطلقة على الإنسان، فقد وَجد من بين مرضاه كثيرين يفتقرون إلى العدوان، إلا أن كل إنسان يسعى إلى القوة. والقوة ليست وضعاً بيولوجياً، فانتقل من مفهوم القوة إلى مفهوم السيطرة. ومع المفهوم الجديد للسيطرة، استمر

---

[٢٧] **ألفريد ادلر**، نمساوي الجنسية، بدأ حياته العملية طبيباً للعيون ١٨٩٨م، انضم إلى جماعة فرويد، ثم أصبح أحد مؤسسي جماعة التحليل الفردي عام ١٩١٢، تتميز أفكاره بالوضوح والتحديد، وركز على الذات الخلاقة فهو من أصحاب النزعة الإنسانية، على مثال يونج متفائل لمستقبل الإنسان. راجع سيد محمد غنيم، *سيكولوجية الشخصية*، ص٥٩٣-٥٩٤.

"**ادلر**" يشعر بأن الرغبة في السيطرة رغبة عامة، وخاصية من خصائص شخصية الإنسان. وهكذا انتقل "**ادلر**" من "**الجنسية**" إلى "**العدوانية**" إلى "**القوة**" إلى "**السيطرة**". و "**السيطرة**" في مفهوم "**ادلر**" لا تعني الزعامة وإنما تعني "**السيطرة على الذات**".

٣) *الذات الخلاقة*: يرى "**ادلر**" أن أسلوب حياة الفرد يرجع إلى نتاج قوتين: "**ذات داخلية**" موجهة، "**وقوى خارجية**" بيئية تساعد أو تعوق أو تعيد تشكيل الاتجاه الذي ترغب الذات الداخلية سلوكه. ويعطي "**ادلر**" أهمية للذات الداخلية، ويعتبرها أساساً في تفرّد الإنسان، فهو يعتقد أنه لا يوجد شخصان على ظهر الأرض لهما نفس أسلوب الحياة، بسبب اختلاف "الذات الداخلية" واستجابة كل فرد للقوى الخارجية. "**والذات الخلاقة**" هي صاحبة السيادة في بناء الشخصية، فالإنسان ينمي تراكيب الذات من ماضيه الموروث، ويترجم انطباعات حياته اليومية، ويبحث عن خبرات جديدة لإشباع رغبته في السيطرة. إنها ذات مبدعة تخلق شيئاً جديداً لا على غرار سابق، إنها تخلق شخصية فريدة.

خلاصة رأي ادلر: تسير نظرية "ادلر" كنظرية "يونج" في التطلع إلى الغائية في سلوك الإنسان. وتعتبر عاطفة "اعتبار الذات" عنده هي "الذات الخلاقة" التي تبني الشخصية. ويمكن الاستفادة من نظرية "ادلر" في علاج العواطف انطلاقاً من "الذات الخلاقة" وبث روح المقدرة على اجتياز الأزمات وتأكيد فردية كل شخص عن الآخرين.

خلاصة رأي المدرسة التحليلية عن الذات

من عرضنا الموجز لنظرية **"الذات"** عند (فرويد ويونج وادلر) مؤسسي وأعمدة مدرسة التحليل النفسي، نكتشف الأهمية العظمى للذات، والدور الكبير الذي تلعبه في بناء الشخصية، ونرى أن كلاً منهم قد تناول الذات الإنسانية من منظور معين: فقد اهتم **"فرويد"** بأهمية السنوات الأولى لتكوين الـذات ودور التربية والبيئة في تنشئتها. وتتكون عاطفة اعتبار الذات معتمدة على **"الأنا"** الذي يلعب دوراً رئيسياً في تنظيم التنسيق بين الـ**"هو"** و **"الأنـا الأعلـى"** إلا أن **"فرويد"** اعتمد اعتماداً كبيراً على اللذة، وأعطى أهمية خاصة للجنس، فهو يرى أن نمو الشخصية يتم من خلال المراحل الأربعة: (الفمية والشرجية والقضـيبية والكمون) ويقيس النضوج العاطفي بمدى تحقيق مبدأ اللذة، والإقلال من التوتر نتيجة لتفاعل العناصر الثلاثة **"الهو، الأنا، الأنا الأعلى"**.

أما **"يونج"** فقد نهض بنظرية "الذات" من خلال نظرتـه المسـتقبلية التفاؤلية للإنسان وتطلعه للمستقبل، فقد أشار إلى أهمية السـنوات الأولى مـن التنشئة، إلا أنه ركّز أكثر على أهمية المسـتقبل وتوجيـه العواطـف لتحقيـق **"الذات"**. ويرى أن عاطفة **"اعتبار الذات"** تنشأ مع **"الأنا"** المسـؤول عنـها، ويتوقف نموها ونضوجها على نمو ونضوج **"الأنا"**. ويُقاس نضوج عاطفة **"اعتبار الذات"** بمدى معرفة الإنسان لنفسه والوعي بها، وتعطـي **"الـذات"** التـوازن الكامل للنفس وتأتي هذه المرحلة بعد اجتياز المراهقة وسن الرشد أي مع بدايـة الثلاثينيات، ويعطي **"يونج"** الأولوية للعقل في إصـدار الأحكـام والقـرارات اليومية.

أما "**ادلر**" فقد ركز على فرادة الإنسان "**بالذات الخلاقة**"، وأن تحقيق الذات يتم بالسيطرة على الذات وتوجيه العواطف، وأعطى أهمية لأسلوب حياة الفرد فهو الذي يفسر لنا تفرد الشخص. وهذا الأسلوب هو نتاج قوتين قوة داخلية وقوة خارجية متمثلة في البيئة التي تساعد أو تعوق الاتجاه الذي ترغب الذات الداخلية في سلوكه. إلا أن "**الذات الخلاقة**" قادرة على الإبداع، وتطويع القوى الخارجية لصالح تحقيق "**الذات**" وهو ما يُسمى بالتكييف مع البيئة الاجتماعية أو تعبير البيئة نفسها. فعاطفة "**اعتبار الذات**" هي نفسها "**الذات الخلاقة**" التي تجعل الإنسان فريداً في أسلوب حياته وسلوكه.

من الملاحظ أن المدرسة التحليلية ترتقي بالشخصية شيئاً فشيئاً، وتسمو بمفهوم الغرائز، وتتجه إلى الذات كعنصر أساسي في تحقيق شخصية ناضجة، وأن الوجدان والعواطف من العناصر المكونة للذات، ولدورهما أهمية كبرى، وعلى قمة العواطف عاطفة "**اعتبار الذات**"، التي تتركز حول فكرة المرء عن نفسه، وهي التي تستثار، فيوجه المرء عواطفه استجابة لمصدر الإثارة، سواء بالرفض أو القبول. ويعبر عن عواطفه من خلال الانفعال وردة الفعل. وهذه العاطفة لا تنشأ مرة واحدة بل تتطور نتيجة التفاعلات المستمرة بين العناصر الداخلية للإنسان كالأنا والهو والأنا الأعلى والشعور واللاشعور وتحقيق الذات؛ وبين القوى الخارجية البيئية من جهة أخرى. وعاطفة "**اعتبار الذات**" هي تقدير الإنسان لنفسه ومعرفة حدوده وإمكانياته. وتقويها فضيلة التواضع والعلاقات الاجتماعية الصحيحة الواضحة الأهداف، كما يدعمها المثل الأعلى أو القدوة. وهذا ما سوف يتضح لنا من خلال دور المثل الأعلى في بناء الشخصية، ولكن علينا أن نتحدث عن "**التوحّد أو التشخّص**" كعملية تبدأ في الطفولة وتستمر مع الإنسان إلى أن يصل إلى المثل الأعلى كعامل مساعد لتحقيق الذات.

٣- عملية التوحّد أو التشخّص

التوحّد أو التشخّص أو التعيّن كلها مترادفات لعملية يعتبرها علم النفس وعلم الاجتماع عملية هامة في نمو الشخصية، تتم في مرحلة الطفولة حينما لا يعرف الطفل أن يميز بين الأنا والأنت، بين هويته وهوية المحيطين به، فيبدأ بالتوحّد مع والديه وخاصة الأم كمصدر أولي للغذاء والعطف، ولهذا التوحّد دور هام في مستقبل فكرة الفرد واتجاهه نحو الآخرين، فالطفل قد يكوّن عاطفة ما نحو الأب المسيطر، وهذه العاطفة قد تؤثر في استجاباته بعد ذلك ومشاعره نحو الشخصيات الأخرى المتسلطة، كالمدرس أو رجل الشرطة أو غيرهم، فيرى فيهم صورة الأب المستبد.

وقد يتجه الطفل نحو الكاهن أو المدرس، أو المدرب أو إحدى الشخصيات التي من خلال تصرفاتها يشعر بالعطف والاهتمام، فيكون التأثير عليه إيجابياً، وينعكس هذا على علاقاته مع الآخرين، وقد تنمو هذه العواطف التي تدخل في عملية التشخّص فيصير هذا الفرد مثلاً أعلى أو قدوة في الحياة، وسبباً لاختيار اتجاه المهنة أو الهدف في المستقبل. ويشير معظم علماء النفس والاجتماع، إلى أن التوحّد بالوالدين يعتبر نوعاً من أنواع الدفاع، بعد أن يكتشف الطفل إنهما منفصلين عنه، فيتوحد بهما لكي يخفض العداوة بينه وبينهما، فيشعر أنه غير منفصل عنهما. ثم تأتي عملية أكثر تعقيداً يتصور فيها المرء نفسه داخل الآخر الخارج عنه وتُسمى بالعملية (الاستعاضية) فيتصور المرء أن الإشباع الذي يحققه الآخر لنفسه، هو إشباع لنفسه هو. ثم المرحلة الأخيرة تسمى (الاستدماجية) فيها يتصور المرء أن الآخر داخله، وكأنه جزء منه هو

نفسه، فيتوحد به في داخله وهنا يصبح المثل الأعلى في قمة التأثير على المرء[28]. فالتوحّد أو التشخّص على مستوى العواطف، هو توحّد عواطف المرء مع عواطف المثل الأعلى، لما يراه فيه من قدوة، فيكيف نفسه وعواطفه وفقاً للمثل الأعلى، حتى أنه يمكننا أن نتنبأ بسلوك المرء واتجاهه العاطفي، إذا ما عرفنا مثله الأعلى.

٤- تأثير القدوة والمثل الأعلى

يوجّه التشخّص العواطف في اتجاه يبحث فيه المرء عن "**مثل أعلى**"، على جميع الأصعدة السياسية والدينية والدراسية عن "**مثله الأعلى**"، فتتركز عاطفته حول شخص واحد بارز، يكون رمزاً قوياً له. كما أن هناك عواطف من نوع خاص، وتتخذ من "**المثل الأعلى**" موضوعاً لها، كحب الحقيقة والعدل والخير والجمال، ولا تنشأ هذه العواطف إلا بفضل التربية الموجهة اتجاهاً سامياً، وهذا النوع من العواطف يتمثل في الصداقة أو في الحب البريء أو الحب العذري. فتصبح هذه العلاقات مُثلاً عليا أو مبادئ وقيم يقدرها المرء حق التقدير[29].

ويُقاس تأثير "**المثل الأعلى**" بالعاطفة الموجهة إليه، فلا يمكن أن نعتبر تأثير "**المثل الأعلى**" إلغاءً للدور الشخصي للمرء وإنما يتخذ الشخص ذاته من المثل الأعلى الصفات البارزة في حياته وسلوكه ويتفاعل معها بعواطفه وبسلوكه المميز له. فإذا كان "**المثل الأعلى**" مبنياً على القوة المادية القاسية، كانت الرأفة متقطعة، وإذا كان "**المثل الأعلى**" يضع الحكمة فوق القوة، كانت الرأفة أوسع

---

[28] عبد المنعم الحفني، *موسوعة علم النفس والتحليل النفسي*، إنجليزي/ عربي، ص٣٧٧-٣٧٨.
[29] يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، ص١٦٥.

نطاقاً وأكثر دواماً واتصالاً"[30]. وفي أغلب الأحيان لا يتبدل المثل الأعلى، لأنـــه قائم على عاطفة "**التوحّد**" منذ الطفولة إذ تنشأ داخل المرء "**عاطفة احترام**" تجاه شخص "**المثل الأعلى**"، تتطور هذه العاطفة إلى عاطفة حب. فيتمثل المرء سمات الشخص الآخر، ويحاول أن يجعل منها مكوّناً لشخصيته ذاتها، ومن هنا يصعب على أي إنسان استبدال المثل الأعلى لأنه يصبح جزءاً من الشخصية ذاتها. وقـــد يشكّل الاستبدال نتيجة ضارة بالشخص كخيبة الأمل وفقدان الثقـــة بـــالنفس والآخرين وضياع الهدف.

٥- الحياة العاطفية والجنس

يرتبط مفهوم العاطفة عند أغلبية الناس بالميل إلى الجنس الآخر والحياة الجنسية عموماً. فحينما يتحدث المرء عن اضطراب أو انفراج في عواطفه، يبدو للمستمع لأول وهلة أنه يقصد حياته الجنسية وعلاقته الغرامية بالجنس الآخـــر. وهذا مفهوم ناقص إلى حد كبير كما رأينا، فالعواطف ليست جنساً فقط وإنما هي مشاركة وجدانية وفعلية. أشمل من خلال الفرح والغضب والحـــزن والألم واللذة، حتى أن الشك في حد ذاته في قضية ما هو نوع من العواطف يعبر بـــه المرء عن حالته. إلا أن الجنس يرتبط بالحياة العاطفية، ويعتمد عليها في نموه، وفي توجيهه توجيهاً سليماً، لذا سنعرض الجنس وارتباطه بالعاطفة من خلال ثـــلاث نقاط هي:

أ- ماهية الجنس البشري

ب- الطاقة الحيوية وتطورها

ج- الحب والجنس

---

[30] جميل صليبا، علم النفس، ص٢٨٠.

أ- ماهية الجنس البشري

الجنس عند الكائنات الحية، ماعدا البسيط والأولي منها على شكلين أو جنسين، الذكر والأنثى. ويتم التكاثر باندماج خليتين ذكرية يفرزها الذكر وأنثوية تفرزها الأنثى، يسمى هذا التكاثر بالتكاثر الجنسي التناسلي[٣١] والجنس غريزة يشترك فيها الإنسان مع سائر الكائنات الحية، إلا أنه يسمو بغرائزه، ليحقق إنسانيته. وهذا ما يميز الحياة الجنسية عند الإنسان عن سائر الكائنات الحية. وعلينا أن نميز بين الحياة الجنسية والحياة التناسلية، فالحياة الجنسية أشمل من الأخرى. فهي تمثل طاقة غير محدودة تشمل الجسم كله، ولا تتوقف إلى حد التناسل أو الأعضاء التناسلية فقط، ولكونها طاقة فهي قابلة للتحول من صورة إلى أخرى، قد تكون تناسلية أو عاطفية وجدانية أو بدنية أو روحية أو عقلية[٣٢].

ب- الطاقة الحيوية وتطورها

١) *تعريفها:* كان المقصود بها في أول الأمر الشهوة الجنسية، ثم صار معناها من بعد الطاقة أو الدافع الحيوي مع بقاء المعنى الجنسي، وأول من أطلق اسم **"الليبيدو"** هو **"فرويد"** وكان يقصد بها القوة الدافعة لغرائز الحياة و **"الليبيدو"** هو هذا الجزء من تركيب **"الهو"** الذي يبحث عن إشباعه من الحوافز الجنسية. ومن هذا المفهوم، فالطاقة الجنسية كمعنى أشمل من التناسل لا توجد إلا عند الإنسان فقط، ويتحكم في توجيهها لبناء شخصيته وبالتالي بناء الأسرة البشرية. ويمكن تسميتها **"طاقة الروابط والحب"**، فهدفها ربط الجسم البشري بالمجتمع، فتربط الرجل والمرأة، والفرد والمجتمع.

---

[٣١] عبد المنعم الحفني، *موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، إنجليزي/ عربي*، ص٢٨٩.
[٣٢] هنري بولاد اليسوعي (الأب)، *أبعاد الحب، سلسلة الإيمان والحياة (٩)*، ص١٢.

٢) *تطورها في الإنسان:* تمر الطاقة الجنسية في الإنسان بتذبذبات كما تراها مدرسة التحليل النفسي، من الطفولة حتى المراهقة على عدة مراحل تتركز كل منها في أماكن مختلفة من الجسم. إلى أن تستقر في المناطق التناسلية في مرحلة المراهقة. استعداداً للعملية التناسلية في الزواج.

أ) مرحلة الطفولة الأولى: كما أوضح فرويد تذكر الطاقة الجنسية فيما تعرف بالمناطق الشبقية كالفم والشرج وبعد العامين الأولين يكتشف الطفل أعضاءه الجنسية ويمر بالمرحلة القضيبية وتنمو علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه. وتستمر هذه المرحلة حتى سن الخامسة أو السادسة ثم تتحول الطاقة الجنسية إلى مجال عاطفي، حيث يتعلق الطفل بالوالد المخالف له في الجنس.

ب) مرحلة الكمون الجنسي: بين السادسة والثانية عشرة، في هذه المرحلة لا تظهر أي شاكلة جنسية. فتنتشر الطاقة الجنسية في الجسم كله، فينضج الجسم ويقوى. وتتجه الطاقة الجنسية إلى النشاط العضلي أو الذهني أو الاجتماعي[٣٣].

ج) مرحلة المراهقة: فيها تتركز الطاقة الجنسية في الأعضاء الجنسية، ويبدأ تذبذب وصراع من نوع آخر، وهو كيفية توحيد تلك الطاقة التي أصبحت مكتملة وتحتاج إلى الإشباع[٣٤].

---

[٣٣] سيد محمد غنيم، *سيكولوجية الشخصية*، ص٥٥٤-٥٥٩.

[٣٤] هنري بولاد اليسوعي (الأب)، *أبعاد الحب*، *سلسلة الإيمان والحياة*(٩)، ص٢٠-٢٢.

جـ- الحب والجنس

إن الاتصال الحقيقي بين الأفراد لا يتحقق إلا من خلال لغة، والإنسان وحده يتميز بها، ومن هذا المنطلق يصبح الجنس عند الإنسان مشروع اتصال بين البشر، فيتربى الجنس عند الإنسان من خلال المجتمع في الأسرة (والديه واخوته)، وفي المدرسة من خلال العلوم الدراسية، وفي الكنيسة من خلال النظرة المسيحية للجنس والجسد وكيفية التعامل مع الجنس كطاقة. فكما رأينا الجنس لا يخص التناسل فقط بل هو كل ما يدفع الإنسان للخروج من ذاته نحو الآخر ومن خلاله يقيم صلة عاطفية معه. تتجلى الفرادة الإنسانية للجنس، باعتباره اتحاد نفسي وروحي وغاية أولى وأشمل من التناسل والاتحاد البيولوجي، ولذا فهو كغريزة إنسانية لا تشبع باستهلاك الآخر بل بالاتحاد به[٢٥].

١) *الحب يدعم الجنس:* يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات بإدراكه، فهو لا يكتفي بأن يعيش اختباراته فحسب، بل يريد أن يعي ما يعيشه. يشعر الحيوان باللذة، ولكن الإنسان وحده يدرك هذا الشعور، أي يعرف لذته، هذا الوعي باللذة يضاعف اللذة وقد يقود الإنسان للسعي إلى اللذة من أجل ذاتها وأن يتخذ منها غاية. كما أن اللذة الجنسية نفسها عند الإنسان ليست مجرد نتيجة لنشاط بيولوجي إنما هي نابعة من المشاركة الوجدانية.

٢) *التطور الجنسي تصعيد للحب:* يعتبر علم النفس أن مقدرة الإنسان على الحب الأصيل، تجاه الآخر هي إحدى مقاييس النضج العاطفي، وأن السلوك الجنسي عبر الحوار هو إحدى علامات الشخصية الراشدة.

---

[٢٥] كوستي بندلي، *الجنس ومعناه الإنساني*، ص٣٠-٣٢.

وإذا ما تتبعنا التطور الجنسي عند الإنسان لوجدناه تصعيداً للحب إذ يمر الإنسان في نضوجه الجنسي بمرحلتين هامتين:

المرحلة الأولى: من الولادة حتى سن الثانية عشرة: يمر الطفل بعدة انتقالات، فينتقل من عشق الذات إلى عشق الآخر؛ إذ يكون مسيراً بمبدأ اللذة فيجد لذته في الفم، ثم يكتشف أعضاءه التناسلية فيكتسب لذته من العبث بها واستثارتها. في ذلك كله يعشق الطفل جسده، ويستمد منه كل أحاسيس المتعة. كما رأينا سابقاً المرحلة الأوديبية وتأثيرها في النمو النفسي والعاطفي. إذ يتحول عشق الذات إلى عشق الآخر، فيبدأ الطفل في توجيه طاقة حبه إلى الوالد المخالف له في الجنس، وفي أول خطوات النمو النفسي والعاطفي ينتقل الطفل من مركزية الأنا إلى اكتشاف الآخر من حوله والاعتراف به. يرافق هذا النمو نمواً في أجهزته العصبية والعقلية والحسية فتنمو عملية الإدراك والتمييز. وهي عملية هامة للنضوج العاطفي، إذ يدفع الإدراك العاطفة ويوجهها نحو الآخر، رافعاً إياها من دائرة الموضوع الجنسي إلى دائرة الذات فتخاطب العاطفة الذات الأخرى. وفي السنوات الأخيرة من هذه المرحلة، وهي مرحلة "**الكمون الجنسي**"، ينتقل الطفل من موقف الاستيلاء إلى العطاء. فبعد أن كان معتمداً على الآخرين، يكتسب منهم الحب والعطف والرعاية وغيرها، ينتقل إلى العطاء، فيستغل إمكانياته العقلية والبدنية ويتوجه إلى الإبداع الفني ونشاطه البدني، ويعتبر علم النفس هذه المرحلة هي بداية محاولة إثبات الذات والانفصال عن الآخر وهذا ما تتميز به فترة المراهقة[٣٦].

المرحلة الثانية: تشبه هذه المرحلة المرحلة الأولى إلى حد كبير، فهي تبدأ مع مرحلة المراهقة، وتكتمل مع الرشد أي الثلاثينيات. وينتقل فيها المرء بعدة مراحل في خط تصاعدي، منتقلاً من عشق الذات (النرجسية) إلى عشق

---

[٣٦] *المرجع السابق*، ص٧٦-٩٠.

الآخر كموضوع حب. فمرحلة المراهقة الأولى هي مرحلة إعجاب بالذات. فالتطورات الجسمية والجنسية داخل الإنسان، وتغـيير مظهـره الخـارجي، والإحساس بالرجولة عند الفتى، وبالأنوثة عند الفتاة، يجعل الاهتمام متجهـاً نحو الذات، فتجده ثائراً وشديد الحساسية لكل ما يخدش تكويناته النفسـية والجسمية. والانطواء خطر يهدد هذه الفترة.

وبعد اجتياز فترة المراهقة بكل صعوباتها، وبكل ما تتميز به من قوة وطاقات حيوية، يميل الشاب إلى الحب كموضوع أساسي بالنسبة له، فيبحـث عـن الآخر الذي يستحق الحب الأصيل، وهنا تلعب الاختبارات الحياتية دوراً هاماً في مفهوم الحب وكيفية توجيهه، بمعنى أن كل ما يختبره الشاب في حياته من حب في الأسرة وترابط وعلاقات بالآخرين المحيطين به يدفعـه إلى المفهـوم الصحيح للحب وللطاقة الجنسية ككنز يمتلكه.

خاتمة

تناولنا في هذا الفصل العواطف الإنسانية، بدراسة تحليلية كمفـاهيم أساسية، فوجدنا أن من طبيعة الإنسان الميل نحو أو الميل عن، بتوجيه خاص من عاطفة "**اعتبار الذات**" التي تكوّن "**صورة الأنا**" وتدفع المرء بالميل نحو أو عـن. فالعاطفة تمثل جانباً كبيراً من الشخصية الإنسانية. والنضوج العاطفي ما هـو إلا نضوج في الشخصية ككل. ولا ترتبط العواطف الإنسـانية بـالغرائز ارتباطـاً مباشراً- كما نجده عند الحيوان- بل ترتبط عند الإنسان بالعقل ودوره المؤثر في توجيه العواطف وبالتالي فإن الحياة العاطفية أشمل من الحياة الجنسية، ولا تعني أبداً مجرد العلاقات الجنسية أو تقتصر على العلاقة مع الجنس الآخر. تلـك كانـت المفاهيم الأساسية عن العاطفة العامل المشترك بين جميع الناس، تُرى ما هو التبتل؟ وماذا يضيف جديداً للحياة العاطفية؟ هذا ما سنتابعه في الفصلين التاليين.

الفصل الثاني

النبل

الفصل الثاني

التبتّل

مقدمة

التبتّل نمط من أنماط الحياة، لا نجد له تفسيراً أو تبريراً إلا في المسيحية. فجميع الديانات الأخرى والآداب الإنسانية لا تعطي له قيمة حقيقية، بل يتخطى الأمر ذلك إذ يرى فيه البعض عدم اكتمال للذات الإنسانية، وعدم تحقيق للطبيعة المادية التي خُلق عليها الإنسان. وبالتالي فهو معارض لفكر الله نفسه.

وقد وصلت بعض هذه المفاهيم الخاطئة عقول بعض المسيحيين، فمنهم من يعتبر التبتّل هروباً من أعباء الحياة، ومنهم من يعتبره تجرداً من المشاعر والعواطف الإنسانية (الأبوة والأمومة). وكثيراً ما يقف الأهل موقف العداء تجاه من يرغب من الأبناء في التكريس والتبتّل الدائم لخدمة الله والإنسان. وفي الحقيقة فإن التبتّل بمعنى "**العفة**" يدخل في مختلف مراحل الحياة [قبل الزواج- الزواج- أو التكريس] من الناحية الجنسية. وفي أغلب الحالات يصاحب مفهوم "**تبتّل أو عفة**" الامتناع عن العلاقات الجنسية كمفهوم سلبي، دون ذكر كيف يمكن أن يكون هذا الامتناع إرادياً ومسؤولاً وله بنية وانفتاح. وسنحاول اكتشاف مفهوم التبتّل، في العلوم الإنسانية وفي الكتاب المقدس بعهديه، وفي تعليم الكنيسة من خلال وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني.

أولاً: المفهوم اللغوي للتبتّل

١- اللغة العربية

- **بَتَلَه**: بتلاً من باب بتل قطعه وأبانه، بتل، وبتل إلى العبادة تفرغ لها وانقطع[١].
- **البتول**: من انقطع عن الزواج[٢]. **تبتل**: انقطع عن الدنيا إلى الله/ ترك الزواج. **التبتّل**: حالة البتول[٣].
- **العُذرَة**: البكارة – الهوى. **العُذريّ**: ما كان على عفاف. **العذراء**: البكر[٤].
- **عفّ**: كفّ وامتنع عما لا يحلّ أو لا يجمل. **العفّة**: ترْك الشهوات الدنيّة / طهارة الجسد[٥].
- **كرّس**: كرّس الشيء له: خصصه، كرّس نفسه على الشيء وقفها عليه[٦].

نستخلص من هذا أن كلمة "**تبتُّل**" في اللغة العربية تعني الانقطاع عن الزواج إلى الله، وهنا تضفي لفظة "**كرّس**" بمعنى خصص أو وقف الشيء على لفظة "تبتّل" بالمعنى الديني والروحي الذي نقصده، فيمكننا أن نقول: "**التبتّل المكرّس**" وهو انقطاع عن الزواج ووقف طاقات الحب الزوجي لله. أما عن العُذرية فهي حالة الإنسان البكر الذي لم يسبق له الزواج. وهي تُطلق أكثر على الأنثى لأن لفظة العُذرة تعني البكارة أو البكورية، من غشاء البكارة عند الأنثى.

---

١ أحمد بن علي المقري الفيومي، *المصباح المنير*، الجزء الأول والثاني، باب "الباء"، تحت كلمة "بتل".
٢ *المنجد الأبجدي*، باب "الباء"، تحت كلمة "بتل".
٣ *المنجد في اللغة والأعلام*، باب "الباء"، تحت كلمة "بتل".
٤ *المصدر السابق*، باب العين، تحت كلمة "عذرة".
٥ *المصدر السابق*، باب العين، تحت كلمة "عفة".
٦ *المصدر السابق*، باب الكاف، تحت كلمة "كرّس".

٢- اللغات الأجنبية

أما اللغات الأجنبية ذات الأصول اللاتينية كالفرنسية والإنجليزية، فهناك تمييز بين التبتّل والعذروية، والعزوبة. ففيهما نجد المعاني الآتية:

- عذراء Vierge-Virgin
- عذروية Virginité-Virginity
- عفة/طهارة Chasteté-Chastity
- عزوبية/تبتل Célibat- Celibacy
- كرّس/خصص Consacrer-Consecrate[٧]

تميز اللغات الأجنبية بين العذروية (Virginité-Virginity) أي الحالة التي لم يسبق لها زواج، والعزوبة أو التبتّل (Célibat/Celibacy) التي تعني الانقطاع عن الزواج. وكلمة عفة (Chasteté/Chastity) وهي تشمل العفة حتى في الزواج والتبتّل أيضاً، أما الفعل (Consacrer/Consecrate)[٨] فيستخدم بمعنى كرّس أو خصّص الشيء لـ.... يتضح لنا مما سبق أن هناك، تميّزاً بين حالتي التبتّل والعذروية. فالتبتّل قد يسبقه، زواج أما العذروية فلا يسبقها زواج. ولكن يبقى هذا التمييز غير واضح عند عامة الناس فهم يستخدمون لفظة "متبتّل" لمن لم يسبق لهم زواج ولا يستخدمونها لمن سبق لهم زواج وفي الحالة الأخيرة يستخدمون لفظة (أرمل أو أعزب). ولفظة عذروية تبقى قليلة الاستخدام. وننهي عرض مفردات اللغة الخاصة (بالتبتّل والعذروية) بأن مفهوم التبتل المكرّس أي الانقطاع عن الزواج، ووقف الحياة لله في العبادة، وخدمة الآخرين، هو المفهوم الأقرب إلى ما نحن بصدده من موضوع البحث.

---

٧ *قاموس إلياس الجامعي*، إنجليزي عربي، تحت كلمات Celibate, Consecr, Virgin.

٨ *المنجد الفرنسي العربي للطلاب*، تحت كلمات Célibat, Consacrer, Vierge.

ثانياً: مفهوم العلوم الإنسانية للتبتّل

كيف تنظر العلوم التي تتناول الإنسان بالدراسة- والتي سبق وأن عرضنا نظرتها عن العاطفة في الفصل الأول- كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس- إلى حاجات الإنسان وغرائزه وطرق إشباعها وخاصة الدوافع الجنسية، هل تؤمن بالزهد أو الإعلاء أو التصعيد أو التسامي لهذه الدوافع؟ وهل يمكن أن تتحول طاقة الليبيدو "مثلاً" إلى مجالات أخرى؟ هذا ما سنكتشفه من عرضنا لمفهوم التسامي أو الإعلاء من وجهة نظر العلوم الإنسانية.

١- الفلسفة

إن المجال الفلسفي مجال تأملي، يتطلّب من الفيلسوف أن يتجاوز عالم المحسوسات، وربما يتجاوز بتأمله وفكره إلى ما وراء الطبيعة، ليستكشف أسرار الكون والمبادئ والقيم الأخلاقية، التي تعمل في سبيل تقدّم الإنسان. وقد رأينا في الفصل الأول، أن الفلسفة تنظر إلى السعادة كغاية يجتهد الإنسان للحصول عليها، ويبقى الحصول عليها نسبياً، لأن السعادة الحقيقية هي الخير المطلق (الله). وإذا أردنا الحديث عن "التبتّل" من وجهة النظر الفلسفية، فلن نجد من المذاهب الفلسفية ما ينادي "بالتبتل" كنمط حياة وإنما قد ترى الفلسفة أن الإنسان يمكن أن يترفّع عن نزواته للحصول على السعادة.

أ- النظرة القديمة

بدأت الفلسفة بنظرة ثنائية إلى الإنسان، فقسمته إلى: جسد وروح، حيث نادى سقراط بالسعادة التي تقوم في سيطرة العقل على الدوافع، والشهوات ونوازع الهوى لتحرير الروح من قيود الجسد. كما ساير

أفلاطون أستاذه سقراط، فنادى بأن الخير يقوم في الخلاص من مطالب الجسد وقمع اللذات، وإخماد الحياة الحسية وإخضاعها للعقـل. تلـك كانت نظرة الفلسفة قديماً للجسد وهي نظرة قمع وسلب لحاجـات الإنسان الجسدية وإن كانت بهدف التسامي والإعلاء[9].

ب- النظرة المعاصرة

يُعتبر جبريل مارسيل[10] أحد أبرز الفلاسفة الوجوديين المعاصرين، وقـد طرح تساؤلاً: من عساي أن أكون؟ ويرد على هذا التساؤل بقوله: أنا جسم (جسد) أولاً وقبل كل شيء!! وبالتالي يؤكد أن الإنسـان ذات متجسدة. ولا يمكن أن تكون النظرة الثنائية صائبة. وحـين يتحـدث "مارسيل" عن "التجسد" فإنه يعني به أن المرء يدرك نفسـه باعتبـاره جسماً، وأن الذات منفتحة على العالم الخارجي مـن خـلال ذلـك الجسد الذي لا تكاد تنفصل عنه، ولا يكاد ينفصـل عنـها. وأكـد مارسيل رؤيته تلك بفكرة "المشاركة"، فأبرز أهمية الوجدان والحـواس الجسدية لتكون المشاركة أو العلاقة بين الإنسان والآخـرين علاقـة وجودية، تعتمد على "النفس والجسد" معاً، وكلما نجح الإنسـان، في تحرير نفسه من سجن التمركز الـذاتي تزايـد الوجـود في الواقـع الفعلي[11]. نستشف من النظرة المعاصرة للفلسفة بأن الإنسان (جسـد وروح) مدعو لملاقاة الآخرين والاهتمام بهم، من خـلال الانفتـاح.

---

٩ توفيق الطويل، *فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها*، ص٥١-٥٥.

١٠ مارسيل جبريل (١٨٨٩) فيلسوف فرنسي، وكاتب مسرحي، يوصف بأنه "وجودي مسيحي"، قدّم عمله الفلسفي عن طريق يومياته التي ظهرت في ثلاثة أجزاء هي: "يوميات ميتافيزيقية، الكينونة والملك، الحضور والخلود". راجع الموسوعة المختصرة، الألف كتاب (٤٨١) ص٢٨٧.

١١ زكريا إبراهيم (د)، *دراسات في الفلسفة المعاصرة*، جـ١، ص٤٣٩-٤٩٧.

فعملية الإعلاء أو التسامي تستمد قيمتها من وعي الإنسان بجسده ومشاركته الآخرين. وبطريقة غير مباشرة نرى في هذا الفكر "معنى التبتّل"، الوعي بالوجدان والعواطف من جهة، والانفتاح الشامل على الآخرين بالخروج من الذاتية إلى تحقيق معنى الوجود من جهة أخرى.

٢- علم الاجتماع

رأينا في الفصل الأول، من خلال نظرة علم الاجتماع إلى العاطفة أن النضج الانفعالي للفرد، يُقاس من خلال سلوكه الانفعالي، الذي يساير ما يتوقعه المجتمع من الفرد في مستوى سنّي معين. ففي مسيرة النضج الانفعالي، يرى علم الاجتماع ضرورة **"الإعلاء"** بالغرائز من أجل نضوج سلوكي وسط الجماعة. ويصبح **"الإعلاء"** عملية تميز السلوك الإنساني عن السلوك الحيواني. وسنعرض الآن **"الإعلاء"** من المفهوم الاجتماعي، آخذين في الاعتبار اعتماد علم الاجتماع على علم النفس في شرح السلوك الاجتماعي للفرد داخل المجتمع.

أ- الإعلاء والتسامي

يعتبر علم الاجتماع **"الإعلاء"** عملية سيكولوجية، فوفقاً لنظرية التحليل النفسي، تنحصر وظيفته في تحييد النزعات البدائية في الإنسان، مثل غريزتي الجنسية والعدوانية، وإيجاد قنوات للتعبير عنهما غير الصور البدائية لهما. وقد ذهب فرويد، إلى أن الغريزة الجنسية هي المحرك الأساسي للسلوك البشري، ويقوم **"الإعلاء"** بمهمة توجيهها نحو هدف آخر غير هدفها الأصلي، واستبعاد الإشباع الجنسي الحسي، وتحويله إلى مشاعر الإعجاب والحب وتحويل الرغبات الحسية إلى

مطامح فكرية وفنية[12]. ولا يقتصر "التسامي" على الطاقات الجنسية بل يشمل كذلك الطاقات العدوانية[13]، وتجرُّدها من طابعها العدواني، وتحويل الرغبة في العنف والهدم إلى البناء والإصلاح. وبالتالي فقد قامت الحضارات المختلفة، نتيجة لتصعيد و "إعلاء" الطاقات الحبيسة لرجال الفكر والفن والصناعة من جهة، والابتعاد عن الحروب وسفك الدماء من جهة أخرى. ويرتبط "إعلاء" الشخصية في المفهوم الاجتماعي "بالمثل الأعلى" فكلما تحلى المثل الأعلى بمميزات وقيم، كلما كان إعلاء الشخص وطريقة إعلائه أكثر تماسكاً ووضوحاً.

ب- إعلاء الفرد في خدمة الجماعة

داخل المجتمع الواحد، الذي يتكون من مجموعة أفراد، تنشأ علاقات اجتماعية متباينة، تصبح هذه العلاقات رهينة للنضوج الانفعالي، وإعلاء الطاقات العاطفية، والجنسية والعدوانية، لتكون في خدمة الجماعة والمجتمع. حيث يوطّد الفهم الصحيح للعاطفة والجنس والمشاركات الوجدانية، العلاقات بين أفراد الجماعة. ونظراً لارتباط علم الاجتماع بعلم النفس، فإننا نرى أن المفهوم النفسي للإعلاء يدعم المفهوم الاجتماعي.مما يدفعنا إلى عرض المفهوم النفسي للإعلاء.

---

١٢ محمد عاطف غيث، *قاموس علم الاجتماع*، ص٤٧٧.

١٣ إبراهيم مدكور، *معجم العلوم الاجتماعية*، تحت كلمة "إعلاء" "Sublimation".

٣- علم النفس

رأينا في الفصل الأول، ما قدمته لنا مدرسة التحليل النفسي عن "الذات الإنسانية"، ونظرتها المتفائلة لمستقبل الإنسان، كما أوضح يونج وأدلر، وضرورة السمو بالغرائز وتوجيه الاهتمام إلى الذات ودورها الهام لتحقيق شخصية ناضجة. وقد يظهر لأول وهلة أن "فرويد" يعطي اهتماماً كبيراً للغرائز وخاصة الجنسية، وأن نظريته تقوم على ضرورة إشباع هذه الغريزة، لكن الأمر غير ذلك. وسنحاول هنا التمييز بين القمع والإعلاء من وجهة نظر المدرسة التحليلية.

أ- القمع أو المنع

هو عملية شعورية، معناها منع دافع أو ميل معين ماثل في الشعور من أن يتحقق في السلوك الخارجي. ويتميز عن الكبت بكونه عملية شعورية، بينما الكبت عملية لا شعورية[١٤]. ومن التعريف السابق، يتضح لنا أن الحاجات الغريزية تظل حبيسة "الهو"، أو اللا شعور، وأن بعضاً منها يبرز في المستوى الشعوري، فيحسها المرء ويتعرّف عليها، إلا أنه يمنعها من أن تتحقق وقد ترجع أسباب المنع إلى أسباب بيئية أو عادات اجتماعية، أو قيم أخلاقية أو دينية..إلخ وبالتالي تختلف عملية القمع للدوافع والميول من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.

ب- الإعلاء، التصعيد، التسامي

استخدم "فرويد" فكرة "التسامي" أو الإعلاء أو التصعيد فيما يتعلق بالدافع الجنسي فقال: "**إن الدافع الجنسي مزود بالقدرة على**

---

١٤ منير وهبه الخازن، *معجم مصطلحات علم النفس*، تحت كلمة "قمع" "Suppression".

التسامي". ويعني القدرة على استبدال الهدف القريب بأهداف أخرى تمتاز بأنها أرفع قيمة وبأنها غير جنسية. بمعنى أن يتحلل "الليبيدو" من صورته الجنسية ويظهر في مستوى أرقى من التعبير المباشر، أي يتجه إلى أنواع النشاط العلمي والديني والاجتماعي والفني وما شابه ذلك... إلا أن ذلك مهما كان قوياً وشاملاً، فلن يستطيع أن يحتوي طاقة الليبيدو كلها، إذ يظل جانب منها على صورته الأولية. و"الإعلاء" أخيراً هو التغيير في نوع الاستجابة للدافع الغريزي، أي تعديل الوسائل التي يتم بها إشباع هذا الدافع بحيث تهدف الاستجابة إلى تبني وسائل إشباع تتناسب مع القواعد الخلقية والاجتماعية المتعارف عليها"[15].

خلاصة:

من التمييز الواضح بين القمع والإعلاء نستخلص الآتي:

١) "الإعلاء" عملية إنسانية أرقى من القمع، إذ ترتقي بالإنسان إلى سلم النضوج في الشخصية، فلا يتوقف نموه عند القدرة على ضبط النفس فقط وإنما توجيه الطاقات الحبيسة إلى أهداف أرفع قيمة.

٢) فكرة الإعلاء أو التسامي تتأثر بنوعية البيئة أو المجتمع، كما يحدث في عملية القمع، لكن من وظيفة الإعلاء بناء حضارات فكرية وفنية وغيرها من الحضارات الإنسانية، بينما ينتج عن القمع مشاكل كثيرة.

٣) يحقق الإعلاء لصاحبه وللمجتمع السعادة.

---

١٥ *المصدر السابق*، تحت كلمة إعلاء "Sublimetion".

٤) قد يؤدي تكرار عمليات القمع إلى الأمراض العصبية والتمرّد، في حين يوجّه "الإعلاء" طاقات العنف والعدوان إلى طاقات بنّاءة في المجـالات المختلفة.

٥) يتميز الإعلاء بالتضحية والتنازل والبذل، من أجل أهداف قيّمة أكـبر من التضحيات التي يقدمها الإنسان.

ثالثاً: مفهوم التبتّل في الكتاب المقدس

تقديم: إن دعوة الإنسان هي النمو، هذا ما يكشفه لنا الكتاب المقدس. فقد خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى، على صورته خلقهما وباركهما ودعاهما للنمو، وأن *"ينموا يكثروا ويملأوا الأرض"* (تك ١/٢٧-٢٨). فالنمو والخصوبة إذاً من طبيعة الله الثالوث طبعها في الإنسان الذي هو على صورته. كيـف فهـم الشعب القديم مفهوم الخصوبة والنمو؟ وكيف كان ينظر للعـاقر والعقـيم؟ وكيف كان يقدّر النسل؟ وهل كان يعترف بالتبتّل كأسلوب حياة في إطـار التاريخ الخلاصي؟ هذا ما ستراه من خلال كتب العهد القديم والتي تعبّر عـن تفكير الشعب. ثم ماذا عن "التبتّل" في العهد الجديد، مَا أساسه؟ وهـل هـو مشورة أم وصية ملزمة لتلميذ المسيح؟. هذا أيضاً مـا سـنراه مـن خـلال النصوص الإنجيلية التي تحدثنا عن التبتّل وقيمته.

١- العهد القديم

أ- الذرية بركة، العقم لعنة

يتردد نداء الخالق- *"انمو واكثروا"* (تك١/٢٨ب)- في كيـان أفـراد شعب العهد القديم، ومن هنا نشأت الفكرة "أن البركـة في الذريـة

واللعنة في العقم" وأصبحت الذرية والإنجاب غاية يصبو إليها الرجل والمرأة معاً. وأكّد هذا المعنى تدخلات الله في التاريخ بالبركات، التي تنبئ بذرية تعادل كثرتها نجوم السماء والرمل الذي على شاطئ البحر[16]. كما أكدتها الحكمة في كتاباتها. ***"إكليل الشيوخ بنو البنين"*** (أمثال ٦/١٧). وتستمر هذه العقلية حتى مجيء السيد المسيح، فتُكشف من الإشكالية التي عرضها بعض الصدوقيين، ***"امرأة من تكون في القيامة، فقد أخذها الاخوة السبعة ليقيموا نسلاً لأخيهم"*** (مت ٢٢/٢٣-٣١) تأكيداً لأهمية النسل. إلا أن يسوع يؤكد حقيقة جديدة عن ملكوت السموات. كما كانت العقلية اليهودية، ترى أن البركة تأتي من النسل والذرية، وبالتالي الخلود في توارث الاسم أو اللقب، لذلك فقد كان العقم هو الحكم بعدم الخلود، ومن هنا شكى إبراهيم إلى الرب قائلاً: ***"أيها السيد الرب ماذا تعطيني؟ إني منصرف عقيماً"*** (تك ١٥/٢-٣). فالعقم أو القدرة على التناسل عطية من الله الذي بيده البركة واللعنة[17].

ب- الخلود الشخصي

بالرغم مما تكشّف عن الفكر اليهودي، ونظرته إلى الذرية كبركة وخلود، إلا أننا نكتشف تطوراً جديداً في التفكير عن الخلود، يبدأ بالتمييز بين الذرية الصالحة والفاسدة. فالعقيم من ينجب ذرية فاسدة "خير الحرمان من الأولاد والحصول على الفضيلة. فإن في ذكرها

---

١٦ معجم *اللاهوت الكتابي*، تحت كلمة "خصوبة"، ص٣٠٦.

١٧ *المصدر السابق*، تحت كلمة "عقم"، ص٥٥٧.

خلوداً لأنها معروفة عند الله والناس" (حك٤/١). فالإنسان الحكيم يفضّل الحِكمة والفضيلة على إنجاب الأولاد. ويتطور مفهوم الخلود في الذرية إلى الخلود الشخصي الذي يمنحه الله. فقد كان للرجاء شأن جوهري في حياة الأبرار وموضوعه الخلود. ومن جديد يمدح العاقر الخصبة روحياً: "ولكن طوبى للعاقر التي بلا دنس والتي لم تعرف مضجع الخيانة، فإنه سيكون لها ثمر عند افتقاد النفوس" (حك٣/١٣) يعترف المؤلف بخصب روحي للمرأة العاقر إذا كانت أمينة[١٨] فالآيات تشير إلى تجدّد الفكر اليهودي واتساع إدراكه، فلم تعد البركة مقصورة على من له الذرية فقط، بل تلحق بالعاقر والعقيم طالما يحفظان حياتهما أمانة للرب. وأصبح الخلود السعيد في جوار الرب مكافأة على البر لمن يصنعه.

جـ- التبتّل رمز وليس أسلوب حياة

هناك أمثلة عديدة من شخصيات العهد القديم قد اختاروا التبتّل أي (عدم الزواج) بأمر من الرب مثل:

إرميا: الذي اضطر أن يزهد في الزواج، ***"وكانت إليّ كلمة الرب قائلاً: لا تتخذ لك امرأة، ولا يكن لك بنون ولا بنات في هذا المكان"*** . (ار١٦/١-٢) وإذا ما تتبعنا سياق الحديث والنص، نجد أنه أراد أن يعلن بعمل رمزي وقوع عقاب على إسرائيل.

١٨ المصدر السابق، تحت كلمة "عقم"، ص٥٥٨.

يهوديت: تلك المرأة اليهودية، التي حافظت على حياة الترمل، ورفضت أن تتزوج وعاشت مسيرة توبة. *"فهيأت لنفسها عليّة على سطح بيتها، وكانت ترتدي المسح وتصوم جميع أيام ترملها ما خلا السبوت والأعياد"* (يهوديت ٨/٤-٦). وبأسلوب حياتها، كانت تستعد استعداداً روحياً. وبذلك أعطت قيمة سامية لترملها وبتوليتها.

يوحنا المعمدان: أحد أفراد جماعة قمران، وقد اعتزل البرية وعاش حياة النسك والتبتّل مكرساً حياته لإعداد طريق الرب، فكان بمثابة همزة الوصل بين العهد القديم والجديد وقد أعلن بتبتله ونسكه عن اقتراب ملكوت الله[١٩]. وبالرغم من تطور الفكر اليهودي عن البركة والذرية والعقم، وجود بعض الشخصيات التي اختارت التبتّل، وفضّلت الترمّل على الزواج إلا أن العهد القديم لم يعترف "بالتبتل" كنمط حياة، يمكن أن يسلكه المرء. في حين كان يُقدّر (العذروية) قبل الزواج.

وقد استخدم كتّاب العهد القديم لفظة **"عذراء إسرائيل"**، لتدل على الشرف والعهد الأوّلي والحب الأول. فيرمز أشعياء في سفره، إلى العلاقة بين الله وشعبه بالزفاف بين الشاب والبكر العذراء. *"فكما أن شاباً يتزوج بكراً، كذلك بنوك يتزوجونك وكسرور العريس بالعروس يُسر بك إلهك"* (أش٦٢/٥). وتظل هذه الرموز كوعود لمجيء المخلص، ولكن سيتحول لقب "عذراء إسرائيل" إلى الكنيسة في العهد الجديد، ويأخذ "التبتّل" قيمته من يسوع البتول المخلص.

---

١٩ *الكتاب المقدس*، الطبعة اليسوعية الجديدة، إنجيل ق. مرقس الإصحاح الأول حاشية رقم (٨).

٢- العهد الجديد

كان للوحي المسيحي وحده، أن يُظهر المعنى الحقيقي للتبتّل في ملئه، فهو الأمانة على محبة كلية لله وحده. والوحي المسيحي يتجسم في شخص يسوع الابن الكلمة الذي حقق وعود الله وأسس الملكوت. وأصبحت دعوة التلاميذ والرسل والكنيسة جمعاء، هي الاتحاد الكلي البتولي بشخص المسيح. وقد عبّر القديس بولس عن هذه المعاني بقوله: *"إني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لزوج واحد خطبة عذراء طاهرة تُزف إلى المسيح"* (٢كور ١١/٢).

أ- تبتّل مريم

مريم العذراء بتبتلها قبل وبعد ميلاد المسيح، هي المرأة الوحيدة التي ينطبق عليها لقب "**عذراء**". ***"أرسل الله الملاك جبرائيل إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة إلى عذراء... واسم العذراء مريم"*** (لو ١/٢٧)[٢٠].

فالقديس لوقا يعلّق أهمية كبيرة على "تبتل مريم"، ويتجلى هذا "**التبتّل**" عند البشارة من خلال الاعتراض الذي قدمته للملاك كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً (لو ١/٣٤) والمعرفة هنا تعني العلاقة الزوجية. وجاء رد الملاك بأن الأبوة إلهية، وحملت البشارة لمريم الدعوة إلى التبتّل من جديد. وأصبحت مريم كما عبّرت عنها طقوسنا القبطية، الأرض الجديدة البكر، التي أنجبت يسوع البتول آدم الجديد، على مثال آدم القديم، الذي جُبل من أرض جديدة "**بتولة**" فهي أم لكل المتبتلين. وكشف "**تبتّل**" يسوع عن طبيعة العلاقة التي يصبو الإنسان إليها مع الله، ومع الآخرين، علاقة العفاف والشفافية والترفّع عن الماديات. فيسوع يعتبر مثالاً ونموذجاً للتبتل الكامل.

---

٢٠ معجم اللاهوت الكتابي، تحت كلمة "بتولية"، ص١٤٤.

ب- التبتّل نداء من الله

"التبتّل" في نظر المسيح سرٌّ، مرتبط بسر محبة الله، فليس من الممكن إنسانياً، أن يجعل المرء ذاته خصياً لأجل الملكوت، إلا إذا سمع نداء الله يدعوه ليكون على مثال ابنه البتول. فالمتبتل مدعو لأن يحب كحب يسوع، ولن يتحقق هذا إلا لمن أحبه أولاً. متجاوباً مع ندائه *"من أحب أباه وأمه أكثر مما يحبني، فليس أهلاً لي، ومن أحب ابنه او ابنته أكثر مما يحبني فليس أهلاً لي"* (مت ١٠/٣٧). بل يزيد على ذلك القديس لوقا تفضيل يسوع على حب النفس (لو ١٤/٢٦). وينفرد القديس مرقس بالإشارة إلى هذا الوجه من حياة التلميذ الذي يتبع يسوع *"دعا الذين أرادهم... لكي يصحبوه"* (مر ٣/١٣-١٤). وهذه هي دعوة التبتّل أي مرافقة يسوع. فالتبتّل ليس هدفاً في حد ذاته وإنما نمط حياة على مثال يسوع المتبتل وفي رفقته[٢١]. فالقصد الإلهي العادي والطبيعي هو الزواج *"انموا وتكاثروا"* كما قال الله في البدء، أما التبتّل فهو نداء خاص جداً ولا يمكن اعتباره أفضل من الزواج، فأفضلية الحالة ترجع للشخص نفسه ودعوته التي يشعر بها.

رابعاً: تعليم الكنيسة الكاثوليكية عن التبتّل

تقديم: بعد أن عرضنا مفهوم "الإعلاء" في العلوم الإنسانية وربطناه بمفهوم التبتّل في الكتاب المقدس، نعرض تعليم الكنيسة عن موضوع التبتّل: فهي منذ نشأتها عرفت وأقرت ومارست التبتّل كأسلوب تكريس كامل لله. وليس المجال

---

٢١ فاضل سيداروس اليسوعي (الأب) *خواطر في التبتّل المكرّس*، موسوعة المعرفة المسيحية٣، ص٧و٨

هنا لدراسة تاريخ التبتّل، سنركز بالأحرى على تعليم الكنيسة الكاثوليكية عن "التبتّل" والذي صيغ على أفضل وجه من خلال "وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني"[22]. وقد صدر في هذا الصدد، قرار مجمعي في حياة الكهنة وخدمتهم، يناقش جوهر الكهنوت ووضع الكهنة في العالم ومهامهم وعلاقتهم بغيرهم. وأيضاً دعوتهم إلى الكمال من خلال القداسة. كما أوضح أباء المجمع، المقتضيات الروحية الخصوصية في حياة الكاهن، كموقفه من التواضع والطاعة واختيار التبتّل واعتباره كنعمة مع الوسائل الهامة الأخرى لإنماء الحياة الروحية. هذا بالإضافة إلى القرار المجمعي في تجديد الحياة الرهبانية الملائمة لعصرنا. ومن الأفكار الرئيسية في هذا القرار، نذر العفة كعلامة من علامات الملكوت. وسنقدم تحليلاً في نقطتين عن الجزء الخاص باختيار التبتّل واعتباره عطية من الله.

١- التبتّل علامة المحبة الراعوية

أ- من أجل الملكوت

لا يعتبر المجمع "التبتّل" نظاماً كنسياً فحسب، إنما توصية السيد المسيح من أجل ملكوت"..، ***وهناك خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات. فمن استطاع أن يفهم فليفهم*** (مت١٩/١٢) فيقول المجمع في هذا الشأن ***"إن التبتّل الكامل والمستمر من أجل ملكوت السموات التي وصى بها السيد المسيح.. نظرت إليه الكنيسة دوماً وخاصة في الحياة الكهنوتية، نظرة اعتبار فائق. وهو***

22 المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، ١٩٦٢م-١٩٦٥م: دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون، اهتم هذا المجمع بتحديث الكنيسة الكاثوليكية، فأصدر عدداً من الدساتير والمراسيم والقرارات والبيانات والتصريحات، وهذا المجمع يكمل ما لم يستطع المجمع الفاتيكاني الأول أن ينجزه. راجع صبحي حموي اليسوعي (الأب)، معجم *الإيمان المسيحي*، ص٣٤٩.

في الوقت عينه علامة المحبة الراعوية" [٢٣]. فالتبتّل في المقام الأول هو علامة لحضور ملكوت السموات بين البشر، وهو علامة للحب النقي والغير مشوّه. والكنيسة في نظرتها للتبتّل، تحوّل الأضواء نحو القيم الإنسانية التي عبث بها الشر، مثل الحرية وكرامة الإنسان والحياة الجنسية. في محاولة لدفع الإنسانية مجدداً إلى إعادة هذه القيم إلى ما كانت عليه كاتجاه نحو الملكوت. وتسلّط الكنيسة الأضواء على الحياة الجنسية، كقيمة إنسانية هامة يمكن تكريسها لله كلية، وبذلك تعلن أنها ركن هام من أركان إقامة ملكوت الله على الأرض. كما يشير المجمع إلى رفض عدد كبير من البشر، لإمكانية العفة الكاملة في عالمنا الحاضر، ويعتبر المجمع هذا الرفض رفضاً لعلامات ملكوت السموات، التي وعد بها السيد المسيح نفسه لمن رافقه في المسيرة. ويشير المجمع إلى أن التبتّل هو الالتحاق بالمسيح بقلب غير مجزأ، وهو صورة الاتحاد الكامل في ملكوت السموات لكل المؤمنين، ففي السموات لا يتزوجون ولا يُزوجون.

ب- من أجلَ تجديد الناس روحياً

يرى المجمع أن مفاعيل التبتّل لا تعم على المتبتلين من الكهنة أو الرهبان والراهبات وحدهم، بل تشمل جميع المؤمنين. فهو المصدر الفريد للخصب الروحي في العالم، ولما كان يسوع، ابن الله، قد أظهر محبته ببذل ذاته من أجلنا، فلا يمكن لأحد أن يحب أكثر، إلا ذلك الذي يبذل ذاته من أجل المسيح ومن أجل اخوته. وقد دُعي بعض من

---

٢٣ وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، قرار في حياة الكهنة وخدمتهم رقم١٦.

المسيحيين لهذا الاستشهاد، الذي تعتبره الكنيسة عطيـة سـامية، وإن تغيّرت صورته من إهراق الدم إلى "التبتّل" كشـهادة حيـاة تُغـذي الكنيسة وتقدسها. ويظهر اعتناق بعض المؤمنين للمشورات الإنجيليـة، كعلامة تجذب كل أعضاء الكنيسة، ليتمموا بشجاعة واجبات دعوتهم المسيحية. فهو يعبر عن سمو ملكوت الله على كل الأشـياء الأرضـية وعلى الاحتياجات القصوى.

٢- التبتّل مطلب وعطاء الكنيسة جمعاء

إذا كان التبتّل علامة لملكوت السموات، والجميع مدعوون للاشتراك فيه، فبالرجاء تطلب الكنيسة هذه العلامة كرمز وعربون للاتحاد الكامل بالرب يسوع في الملكوت. فليس التبتّل مطلب المكرسين وحدهم، بل تطلبه الكنيسة جمعاء، ممثلة في عائلات المكرسين، وأصدقائهم وكل مؤمن نال العماد كعلامة اتحاد مع الشركة الكنسية ومع الرب يسوع. ولا ينطوي التبتّل على سِرّ آخر سوى العماد الذي فيه نستطيع أن نكون جسداً واحداً. فبالعماد يتكرّس الجميع لله ويلتزم كل معمَّد بالدعوة للخلاص. ويؤكد المجمع على أن "التبتل" ليس من صلب الكهنوت بحد ذاته، استناداً لحياة الكنيسة الأولى وفي تقاليد الكنائس الشرقية، حيث يوجد كهنة متزوجون لهم أجر عظيم، ويؤكد على أنه لا ينوي تغيير مثل هذه الأنظمة الشرعية في الكنائس الشرقية. وعلى المؤمنين والمكرسين أن تكون لهم الثقة بالروح، بأن الله الآب يمنح بسخاء عطية "التبتل" التي تتلاءم وكهنوت العهد الجديد، شرط أن تُطلب بتواضع وتُعطى بسخاء وتُنظر بتقدير.

أ- بتواضع

يضع المجمع فضيلة التواضع كشرط أوّلي لطلب نعمة "التبتّل"، وقد أراد الإشارة إلى وجوب اعتراف الإنسان بمحدودية إمكانياته، وأن مسلك التبتّل لا يعتمد على القوى الشخصية والعاطفية، على أن يضع المكرسون والكنيسة جمعاء، في اعتبارهم أن التبتل هو هبة مجانية من الله، يمنحها للمتواضعين، على مثال يسوع المتواضع ومريم العذراء البتول المتواضعة. ***"فعلى كل من يتأهب لقبول الكهنوت، وله ثقة بالروح بأن الله الآب يمنح بسخاء عطية "التبتّل التي تتلاءم وكهنوت العهد الجديد، بشرط أن تطلبها بتواضع وإلحاح الكنيسة جمعاء، والذين يشتركون بسرّ الكهنوت في كهنوت المسيح"***[24].

وأمام رفض عدد كبير من الناس، إمكانية العفة الكاملة في العالم المعاصر، ***"على الكهنة أن يطلبوا مع الكنيسة، نعمة الأمانة بتواضع متزايد، وباستمرار متصاعد، وهي لا تُرفض لمن يطلبها"***[25]. يؤكد المجمع ثانية وفي نفس الفقرة، على أهمية طلب التبتّل كهبة من الله بتواضع، وتوضح أن التواضع ليس ناتجاً عن خوف من عدم تدبير الأمور الجسدية، والجنسية خاصة، ولذا يلجأ المكرّس لطلبها بتواضع، وإنما الوعي السليم بالاحتياجات الأساسية للجسد دون كبت، مع طلب نعمة الروح القدس، بأن يملك على تشغيل المواهب الجسدية وتوجيه الاحتياجات، واعتبارها ملكاً لله ووقفاً له. ومن جهة أخرى ليس التواضع تخلياً بقدر ما هو التزام، فبجانب النعم التي يمنحها الله للمتبتل، عليه أن يتفاعل من جهته مع هذه النعم يومياً بل في كل لحظة، تجاوباً مع نداء الله والدعوة إلى القداسة.

---

٢٤ المصدر السابق، قرار في حياة الكهنة وخدمتهم رقم ١٦.
٢٥ المصدر السابق، قرار في حياة الكهنة وخدمتهم رقم ١٦.

ب- بسخاء

يشدّد المجمع على العطاء بسخاء الروح، وإن كان هذا من صميم رسالة الكهنة والمتبتلين، فهو أيضاً من صميم الأسرة في التربية لإعداد شباناً، يتقدمون للتبتّل المكرس، في سبيل خدمة الآخرين بروح السخاء والعطاء المجاني. ويذكر المجمع في قراره في "**التنشئة الكهنوتية**" أنه على الطلاب المتقدمين لسرّ الكهنوت ***"أن يدركوا أيضاً سمو التبتّل المكرّس للمسيح، فيتكرسوا للرب ببذل ذاتهم كليّاً نفساً وجسداً، باختيار ناضج بالتفكير والسخاء"***[٢٦]. وهكذا نرى الارتباط العميق، الذي يوحّد بين المحبة السخية والعفة الكاملة في التبتّل. والتبتّل بهذا المعنى لا يجفف فينا المحبة بل يجسّد حضور الله الخلاصي للإنسان. فباب السخاء أمام المتبتّل يظل مفتوحاً، أكثر من المتزوج المرتبط بالتزامات كثيرة تجاه الزوجة والأولاد. فبالسخاء يتأكد تبتلنا بأنه علامة الملكوت الآتي.

ج- بتقدير

يشير المجمع إلى نظرة الكنيسة التقديرية إلى "**التبتّل**"، لقد نظرت إليه الكنيسة دوماً وخاصة في الحياة الكهنوتية، "نظرة اعتبار فائق"[٢٧]. وتستمد هذه النظرة للتبتل قيمتها من كون "**التبتّل**" من أجل ملكوت السموات. ***"فهذا الانقطاع***

---

٢٦ المصدر السابق، قرار في التنشئة الكهنوتية رقم ١٠.

٢٧ المصدر السابق، قرار في حياة الكهنة وخدمتهم رقم ١٦.

الكامل في سبيل ملكوت الله، كان دوماً من قبل الكنيسة موضوع شرف، خاصة كعلامة للمحبة وحافز إليها، وكينبوع خاص للخصب الروحـــي في العالم" [28].

وإذ تنفرد المسيحية منذ الأجيال الأولى بأن تعلن: أن "التبتّـــل" ممكـــن كأسلوب حياة، بهدف الاتحاد الكلي مع المسيح الرأس، وباقي المؤمنين أعضاء الجسد السريّ تتحدى بذلك كل نظرة احتقار، تشوّه مفهوم الجسد والنفس، فالتخلي عن النشاط الجنسي لصالح محبة الرب، والخدمة الآخرين المفعمة بالمحبة والخصب، يحقق إحدى شرائع الجنس وهي تقدمة الذات للآخر. وهنا يكون نظرة التقدير "للتبتّل" مرتبط بمدى النجاح في تحوّل هذه الطاقة الجنسية، التي كاد أن يؤلهها العالم الحاضر، إلى طاقة وحب وفخر للمؤمنين من غير المتبتلين أيضاً، إذ ينظرون إليها نظرة إجلال وتقدير. حيث هي دليل على أن ملكوت السموات يسمو على الأشياء الأرضية. وبذلك يســـتطيعون مواجهـــة غـــير المؤمنين في إنكارهم "للتبتّل"، كما تدفعهم نظرة التقـــدير لـــــ"التبتّـــل" إلى تعظيم وتفضيل معنى الأبوّة أو الأمومة الشامل فيرون في كل متبتـــل أبـــاً وفي كل بتول أماً.

---

٢٨ المصدر السابق، دستور عقائدي في الكنيسة ، رقم٤٢.

خاتمة

يتمتع المتبتّل بكامل القدرات الجسدية، النفسية، العاطفية والفكرية العقلية بلا خلل أو نقصان. لكنه شخص اختار أن يلبي نداء الرب يسوع لمرافقته في خدمة اخوته البشر، وهو يحيا هذه القدرات المختلفة والغنية معهم، دون أن يخصصها لشخص معين في إطار الزواج. ويعيش المتبتل هذا التخلي بدون تشويه أو تجني على قدسية الزواج. وفي النظرة المسيحية لا توجد حالة متوسطة بين التبتل والزواج، **فالتبتل لا يعني الامتناع عن العلاقات الجنسية فقط، وإنما انفتاح أشمل لطاقة الحب في إطار الأسرة البشرية جمعاء. فهو يعني خصب غير** جسدي هذا ما عبّرت عنه العلوم الإنسانية بفكرة الإعلاء أو التسامي. كما أن "**التبتّل**" يعني التخلي عن واحدة من الحقائق الأكثر انفتاحاً وتحقيقاً للذات البشرية "الأبوّة والأمومة" أي التخلّي عن الفرح البسيط الناتج عن عملية التناسل والتوالد وتربية الأبناء، والتخلي أيضاً عن تحقيق الذات عن طريق تسلسل الأنساب بعد الموت.

ويؤكد لنا الفكر المسيحي، في هذا الصدد طبيعة القيامة وملكوت السموات، إذ يرفض البحث المفرط عن بقاء الذات عن طريق الخصب الجسدي فحسب، ويدعو المتبتل أن يعيش في الزمن الراهن بمظاهر زمن القيامة وملكوت السموات.

هذا ما حاولنا أن نوضحه عن "**التبتل**" كنمط حياة في شكل «تخلي لتحقيق الذات». بانفتاح على مختلف أنواع الالتزامات في خدمة الجماعة البشرية بعاطفة (الأبوّة والأمومة) غير المحدودة.

الفصل الثالث

ديناميكية التبتّل والعاطفة

الفصل الثالث

ديناميكية التبتّل والعاطفة

مقدمة

قدمنا في الفصلين السابقين دراسة علمية، تحليلية، كتابية لموضوعي **"العاطفة والتبتّل"** وأردنا بذلك أن ننظر إلى الموضوعين- كقطبين أساسيين للحياة المكرسة- نظرة موضوعية، حتى إذا تعرضنا لديناميكية العلاقة بينهما يكون ذلك، على أساس علمي وسنحاول في هذا الفصل أن نصل إلى هدف بحثنا: **هل يحقق التبتّل الذات الإنسانية؟ ويصل بالنضوج العاطفي إلى مستوى عال أم العكس؟**

نقدم تعريفاً محدداً لكل من العاطفة والتبتل.

العاطفة: هي شعور **"بالميل إلى"** أو **"الميل عن"** في شكل سلوك إزاء شخص أو فكرة، وتلعب العاطفة دوراً هاماً في نضوج الشخصية وتكوين صورة الذات، كما تتأثر العاطفة بالتنشئة البيئية.

التبتّل: هو عملية إعلاء (من وجهة نظر العلوم الإنسانية)، هذه العملية ترتقي بالإنسان إلى سلم النضج في الشخصية، وتوجيه الطاقات الحبيسة إلى أهداف أرفع قيمة. وتتأثر هذه العملية بنوعية البيئة، وتتميز بالتضحية والتنازل، ويحقق الإعلاء لصاحبه وللمجتمع السعادة. وبعد أن وصلنا إلى التحديد السابق لكل من

"**العاطفة والتبتل**" نتساءل: تُرى ماذا يضيف التبتل- كأسلوب يميز المكرس عن غيره- إلى الذات الإنسانية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال دراسة العلاقة بين "**التبتل والعاطفة**".

أولاً: التبتل والنضج الإنساني

يستدل على درجة النضج الإنساني من خلال اتجاهات الفرد تجاه:

١- **غرائز الحياة، دورها ومكانتها.**

٢- **البيئة الاجتماعية، المتمثلة في الوالدين والمثل الأعلى.**

٣- **صورة الذات (الأنا)، أو عاطفة "اعتبار الذات".**

تلك هي عناصر تكوين الشخصية الأساسية، والخلل في أي عنصر منها يؤثر سلبياً على النضج الإنساني. وسنحاول أن نكتشف دور "**التبتّل**" (كعملية إعلاء) تجاه كل عنصر من العناصر السابقة.

١- التبتّل وغرائز الحياة

إن الغرائز أو الحاجات أو الدوافع الإنسانية، كما يسميها علماء النفس، تلعب دوراً كبيراً في تكوين الشخصية، ويعتمد ذلك على طريقة إشباعها (مباشرة أو غير مباشرة) وهناك نوعان من الغرائز:

الأول: وهو الدوافع الضرورية لبقاء النوع وهي غرائز حب البقاء، كالغريزة الجنسية، العدوانية، التملّك، السيطرة. وتلك الغرائز يمكن إشباعها بطريقة غير مباشرة، وهي ما يتميز فيها الإنسان بالرقي عن الحيوان، وتخص عملية "**الإعلاء**" (التبتل) هذا النوع من الغرائز: فكما رأينا في الفصل الثاني، أن المفهوم الإيجابي "**للإعلاء**" هو تحوّل تلك "**التبتّل**" على الغريزة الجنسية، العدوانية، التملّك والسيطرة.

الثاني: وهي الدوافع الضرورية لبقاء الفرد كالجوع والعطش.. وتلك تتطلب إشباعاً مباشراً لضمان بقاء الإنسان واستمرارية الحياة.

أ- إعلاء الدافع الجنسي

يعتبر الدافع الجنسي من الدوافع القوية، ذات الأهمية الخاصة في الحياة الاجتماعية، وفي الصحة النفسية والعقلية، وكما رأينا في الفصل الأول، إن "فرويد" أول من تبين أهمية الغريزة الجنسية وخاصة في تحقيق مبدأ اللذة، وإشباع رغبات "الهو"، فهي المحرك الأساسي في السلوك البشري، ولا يتعلق الدافع الجنسي- كدافع الجوع والعطش- بحفظ الحياة للكائن الحي. فالكائن الحي لا يموت إذا تعطلت وظيفته الجنسية[1]. بل ذهب **"فرويد"** إلى أن عملية **"الإعلاء"** تخص الغريزة الجنسية أكثر من غيرها من الغرائز، ولذا يعتمد الإنسان اجتماعياً وروحياً على نظرته إلى الجنس وتعاملاته مع الآخرين. والدافع الجنسي موجود عند الإنسان منذ ولادته ويمر بمراحل النمو العاطفي الثلاثة وهي:

- مرحلة عشق الذات أو النرجسية.
- مرحلة الكمون الجنسي.
- مرحلة المراهقة والنضوج الجنسي.

وكما رأينا في الفصل الأول تتميز كل مرحلة عن الأخرى بخصائص معينة وركز فرويد على أهمية التنشئة في كل مرحلة على أن تكون في اتجاه التصعيد والرقي.

---

[1] محمد عثمان نجاتي (د.)، *علم النفس في حياتنا اليومية*، ص٤٢.

- **مرحلة عشق الذات:** يهتم الطفل بذاته ويسعى لتحقيق السعادة دون الالتفات إلى الآخرين، وتستمر هذه المرحلة حتى سن الخامسة. ومن شأن التنشئة السليمة أن تخلق للطفل مناخاً يتعرف فيه على الآخرين. فدور الوالدين هو أن يشعروا الطفل بأنه ليس وحيداً، وأن هناك من يشاركه حياته وفرحه وألمه. وفي هذه المرحلة يبدأ **"الإعلاء"** أو التصعيد بإخراج الطفل من دائرة الذات نحو الآخر.

- **مرحلة الكمون الجنسي:** تبدأ من السادسة وحتى الثانية عشر وتنتهي مع بداية سن المراهقة وفيها: تختفي التوترات الانفعالية ويهتم الطفل بالعالم الخارجي اهتماماً بارزاً، فيهتم بالأنشطة الاجتماعية والهوايات. والخطر أن تتحول تلك المرحلة إلى كبت للنزعات الجنسية، ولذا من شأن الإعلاء والتربية السليمة توجيه تلك الطاقات الكامنة في شغل الهوايات، والعلاقات الاجتماعية وخاصة الاختلاط بين الجنسين للتعرّف على الجنس الآخر في مرحلة تتميز بقلة التوترات الانفعالية.

- **مرحلة المراهقة:** فيها تكتمل الأعضاء الجنسية في النمو ويشعر كل فرد بما يميزه عن الجنس الآخر وتبدأ النظرة الجنسية تأخذ حذراً شديداً من الجنس الآخر. وتعتمد مرحلة المراهقة في نموها على المرحلة السابقة لها **"مرحلة الكمون"** فإذا عبر الطفل تلك المرحلة بسلام؛ فإن عملية **"الإعلاء"** التي يمارسها تتجه به تدريجياً للارتقاء نحو النضوج العاطفي. وتأتي مرحلة المراهقة فيتجه المراهق ليختار الحب كموضوع حقيقي تجاه الآخرين. وهنا تتفجر لديه الطاقات الجنسية ويتحول من النرجسية أو البحث عن اللذة الذاتية إلى شخص راشد تسيّره الحقيقة والمجتمع.

ومن ثم، فإن دور "الإعلاء" يتمحور في عملية توجيه الغريزة الجنسية، كمحرك أساسي للسلوك البشري، نحو هدف آخر غير هدفها الأصلي، والسيطرة على الرغبة في الإشباع الحسي المباشر وتحويله نحو مشاعر الإعجاب والحب، ومطامح فكرية وفنية. فالإعلاء يقوم في تعديل وسائل الإشباع لتتناسب والقواعد الأخلاقية والاجتماعية. ويعتبر "التبتل" كامتداد طبيعي لعملية "الإعلاء" في التنشئة، فمن شأنه أن يتفهم الغريزة الجنسية وألا تكون العلاقة بطريقة القمع أو الكبت، فليس المقصود "بالتبتل" موت تلك الغريزة وإلا أصبح النضج العاطفي والإنساني ناقصاً، وإنما يهدف إلى تحقيق الذات والإشباع الكامل، ولو تم ذلك بطريقة تختلف عن الإشباع الحسي المباشر، حيث يتم ذلك من خلال العلاقات الاجتماعية السوية والنظرة الإيجابية للجنس.

ا) *العفة الكاملة قمة الإعلاء:* يبقى التساؤل قائماً عند الغالبية هل توجد لدى المتبتل حياة جنسية تحتاج للإشباع؟ وكيف يكون ذلك طالما أن "التبتل" هو تجرّد عن العلاقات الزوجية؟ لا شك أن العلاقة الجنسية هي مشروع اتصال بين البشر وهي ليست ما يخص التناسل فقط، بل هو كل ما يدفع الإنسان للخروج من ذاته نحو الآخر لإقامة صلة عاطفية معه[٢]. والمتبتل إنسان يتمتع بكل القدرات الجسمية والجنسية أيضاً، ولا يعني "التبتل" إلغاء الجنسية (كرجل أو امرأة)، وإنما توجيه الطاقة الجنسية، مع الاحتفاظ بكل ما يتميز به المتبتل من جنسية، إلى صور أخرى روحية أو فكرية. والمتبتل يجد إشباعه الجنسي من خلال التحرّر النفسي والخروج من الذات وهو ما يصبو إليه "الإعلاء".

---

[٢] كوستي بندلي، *الجنس ومعناه الإنساني*، ص٢٠-٣٢.

٢) *الحب يدفع للإعلاء:* يرتبط الحب بالدافع الجنسي ولكن لا سبيل لنا إلى تفسير الحب تفسيراً صحيحاً لو أننا اقتصرنا على إرجاعه إلى مجرد حاجة جنسية، فالدلالة الحيوية للحب لا يمكن أن تكون هي التناسل أو التفريغ الجسمي، بل هي التحرر من العزلة النفسية ومعنى هذا أن الحب وحده يحرر الذات ويدفع إلى **"الإعلاء"**[٣]. ويرتبط الحب **"بالإعلاء"** ارتباطاً وثيقاً، فالحب يدفع الإنسان لأن يكون عفيفاً في علاقاته بالآخرين، أي أن يترفّع عن كل ما هو حسي ومادي في العلاقة، وبالتالي فإن ما يرفضه الحب يرفضه مبدأ **"الإعلاء"** أيضاً، فالإعلاء في معناه الأول تضحية ونكران للذات وهذه من صفات الحب. فبدون الحب يتبقى **"الإعلاء"** جامداً ويتحوّل إلى كبت وقمع أو عشق للذات قد يتجلى في شكل كبرياء أو روح تسلّط أو طمع مفرط وتحوّل الوسائل إلى غايات (المال- الطعام- السيطرة).

ب- إعلاء الدافع العدواني

يُستثار الدافع العدائي في الإنسان، إذا ما أدرك نفسه إزاء عائق يقف في سبيل تحقيق رغباته، فيشعر عندئذ بالغضب، وينزع إلى التخلص من هذا العائق بالهجوم عليه ومقاتلته، وهذا الدافع فطري عند الإنسان[٤]. والإعلاء لا يخص الدافع الجنسي فقط بل يشمل الطاقات العدوانية لتجردها من طابعها العدائي وتحويل الرغبة في العنف إلى الحوار لأجل البناء. ونعود مرة أخرى إلى أهمية التنشئة منذ الصغر،

[٣] *المرجع السابق*، ص٢٣٢.
[٤] عبد العزيز القوصي (د.)، *أسس الصحة النفسية*، ص٦٩.

وكيف يتعامل الطفل مع ما يحيط به وما يثير غضبه، وكيف يقيم حواراً يعبّر فيه عن آراءه، ما يقبل وما يرفض، دون عنف. التبتل يسمو بعاطفة العنف والرغبة في الانتقام إلى الوداعة والمحبة والمسالمة.

ج- إعلاء دافع التملك

يُعتبر دافع التملّك من الدوافع الاجتماعية، ويعني الرغبة في امتلاك والاستحواذ على الأشياء الثمينة، وينشأ هذا عند الطفل عبر كم ما يناله من الهدايا والمنح واللعب حيث تنشأ لديه فكرة أنه محبوبٌ بقدر ما يملك من هدايا وأشياء وحينما يكبر ويبدأ في ملاحظة المجتمع ، يتأكد لديه أن تملك الأشياء يزيد من احترام المجتمع للفرد وتقديره له. بينما ليس التملك في حد ذاته غاية وإنما هو وسيلة لإشباع بعض الدوافع الأخرى، كالأمن والسيطرة[5]. وصفة الإعلاء الأساسية هي "التحرر" ولذا فمن شأنه أن يقدّم للمتبتل المفاهيم الصحيحة لتقرير الثانوي وهو الأساسي والضروري للحياة. بحب التملك يُصعده إلى التخلي والتحرر فيجد المتبتل أن تحقيق ذاته وسعادته يكمنان في السخاء والعطاء والتخلي والحرية الداخلية تجاه الأشياء.

د- إعلاء دافع السيطرة

يرتبط دافع السيطرة بالرغبة في إثبات الذات والتنافس الشديد والرغبة في أخذ مكان الصدارة والزعامة وتولي المناصب العليا. وهو دافع فطري ومن أقوى الدوافع الإنسانية[6]. كما رأينا في الفصل الأول، إذ يعتبره

---

[5] محمد عثمان نجاتي (د.)، *علم النفس في حياتنا اليومية*، ص٥٨-٦٠.
[6] *المرجع السابق*، ص٥٤.

"ادلر" أنه أقوى من الجنس، حيث يسعى كل إنسان إلى القوة والرغبة في أن يكون مسيطراً. فهو إذن دافع يؤثر في شخصية الإنسان وسلوكه. وينشأ نتيجة التربية والتنافس نحو النجاح أو "الفشل". وليس من الغريب أن يتحوّل هذا الدافع إلى خضوع واستسلام يصل إلى العجز وفقدان الإرادة كرسيلة للسيطرة على الغير ولتحقيق الأهداف. وهذا نتيجة للعقاب أو الحرمان أو الضرر أثناء التنافس في إطار الطفولة. لذا يعتبر تشجيع الوالدين وغرس روح المسؤولية من أهم وسائل إعلاء دافع السيطرة، ويأتي "التبتّل" بمعنى الخدمة والاهتمام بالآخر، ووضع الإمكانيات الشخصية لتحقيق سعادة الآخر، بعيداً عن التنافس. ويهتم بتقوية العلاقة بين المتبتل كقائد مسيطر ومحب، وبين المسئول عنهم.

مما سبق نكتشف الأثر البالغ، الذي يمثّله "التبتل" كامتداد لعملية "الإعلاء" تجاه الغرائز والدوافع الإنسانية. فهو يقوم بتربية تلك الغرائز، وتوجيهها لتحقيق الرقي والسمو من خلال هدف أسمى مما تصبو إليه تلك الغرائز. وهذا الهدف هو تحقيق السعادة الشخصية واستقرار المجتمع. فالذين يعملون على إفادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الإنساني، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعاً وهم في الغالب أقربها إلى أعلى درجات التكامل.

٢- التبتل والمثل الأعلى

إن البيئة الاجتماعية المتمثلة في الوالدين والمثل الأعلى من أهم العناصر التي تحقق النضج الإنساني. فكما رأينا في الفصل الأول أن المثل الأعلى أو القدوة يبدأ في الطفولة بما يسمى "التوحّد أو التشخّص" بالوالدين، ولهذا التوحّد أو التشخص دور هام في مستقبل فكرة الفرد عن نفسه واتجاهاته نحو

الآخرين. ويرتبط إعلاء الشخصية في المفهوم الاجتماعي **"بالمثل الأعلى"** لها، فكلما تحلى المثل الأعلى بمميزات وقيم وسط الجماعة كلما كان إعلاء الشخص وطريقة إعلائه أكثر تماسكاً ووضوحاً، وسبباً في اختيار الهدف في المستقبل. وهنا تنشأ عاطفة قوية بين المرء وبين مجتمعه المتمثّل في المثل الأعلى فيسهل الاتصال بالآخرين بواسطة الأخذ والعطاء. فكلما زادت دائرة المجتمع الذي يتصل به المرء بهدف إسعاده، كلما زادت السعادة الذاتية.

أ- قدوة المربيين (الوالدين)

إن أهم العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الفرد وأفراد المجتمع تلك التي تنشأ بينه وبين أسرته (والديه) وبخاصة علاقته بأمه، وبحكم النمو يقل تدريجياً اعتماد الفرد على والديه، إذ يعتمد في تربيته الأولى على والديه كمصدر لإشباع حاجاته وغرائزه بل ومقرري سلوكه وقراراته [٧]. ولذا يجب التشديد على ما يعطيه الوالدين من قدوة حسنة للطفل من خلال علاقاتهم مع الآخرين والعلاقات داخل الأسرة نفسها والتعاون بينهما، وقد رأينا الدور الهام الذي يلعبه الوالدان تجاه إعلاء الغرائز منذ التنشئة الأولى. فقدوة الوالدان وإعلائهما في تصرفاتهما يدفعان بالطفل لأن يسلك في سبيل الإعلاء والرقي عن كل ما هو حسي.

ب- تحقيق المثل الأعلى

إن التبتّل كمسيرة **"إعلاء"** مستمرة، من شأنها توجيه المتبتل إلى مثله الأعلى كلما شعر بضعفه، وعزلته واحتياجه للآخر، فيلجأ من جديد إلى مثله الأعلى ويتوحد معه ويتغلب بذلك على الشعور

---

[٧] عبد العزيز القوصي (د.)، *أسس الصحة النفسية*، ص١٧٣.

بالوحدة والعزلة، من خلال تعميق تعاليم وسلوك مثله الأعلى في مسيرته، فيتصرف على مثاله وكأنه حاضر معه يرشده ويوجهه. كما أن من شأن التبتّل، الوصول بالشخصية إلى درجات التكامل أو التوافق. فهذا يخلق عند المتبتل الرغبة في أن يكون هو ذاته مثلاً أعلى للآخرين، في طريقة توجيهه لحاجاته ودوافعه وسيطرته على ذاته والتخلي فينتبه- دون كبت- إلى أقواله، وتصرفاته، ومعتقداته ليكون مثلاً أعلى صالحاً للآخرين، فقد يكون هناك من يمر بمرحلة التوحّد أو التشخّص به. وخاصة وأن المجتمع أصبح دقيق الملاحظة، ويميز الأشخاص من خلال تصرفاتهم **"فالإعلاء"** يدعم المتبتل بالحكمة والتمييز وتقدير الأمور.

مما سبق يتضح لنا أن التبتّل كإعلاء، يحقق المثل الأعلى على مستويين:

- **الأول**: على مستوى ذات الآخر، يتوحّد المتبتل مع مثله الأعلى في أوقات الأزمات.
- **الثاني**: على المستوى الشخصي، يكوّن المتبتل نتيجة فكرته عن نفسه مثلاً أعلى يحتذي به الآخرون.

٣- التبتّل وصورة الذات

رأينا أعلاه، أهمية الإعلاء بالغرائز والدوافع، ودور المثل الأعلى المتمثل في البيئة الاجتماعية، لتكوين فكرة المرء عن نفسه كما تعتبرها المدرسة التحليلية عاطفة **"اعتبار الذات"**. وقد رأينا في الفصل الأول صورة الذات عند (فرويد ويونج وأدلر) وتميز كل منهم بنظرية تكمّل الأخريتين. ففي رأي فرويد أن صورة الذات تعتمد على **"الأنا"** الذي يلعب دوراً رئيسياً في تنظيم

التنسيق بين **"الهو"** (مبدأ اللذة)- و**"الأنا الأعلى"** (المُثل والقيم العليا). ويساعد التبتل (الإعلاء) **"الأنا"** في رفع مستوى الهو من المستوى المادي البحت وتحقيق مبدأ اللذة- كما رأينا في إعلاء الغرائز- إلى مستوى الاحتياجات الأكثر ضرورة، ومن شأنه أيضاً أن يرتقي إلى مستوى **"الأنا الأعلى"** (المثل العليا) ليستقي الطموح والتطلعات التي تصبو لتحقيقها. ويحاول تطبيق تلك المثل وتحقيق المثل الأعلى بما يتناسب مع البيئة الاجتماعية. كما أكد **"يونج"** وركّز على دور **"الأنا"** في تنشئة عاطفة **"اعتبار الذات"** وهو المسؤول الأول عنها.

أما **ادلر** فاهتم **"بالسيطرة"** على الطاقات لتحقيق **"الذات الخلاقة"** القادرة على الإبداع، وتطويع القوى الخارجية والداخلية للنفس. فإذا أخذنا في الاعتبار رأي **"ادلر"** بأن الرغبة في السيطرة هي رغبة عامة وخاصية من خصائص شخصية الإنسان، فإن **"التبتّل"** يُعتبر **"إعلاء"** من خصائص الشخصية الإنسانية، ولا يتوقف دوره عند السيطرة كقمع أو كبت بل يمتد إلى التوجيه السليم نحو **"الإعلاء"** لتحقيق **"صورة الذات"**. فصورة الذات هي أولاً وأخيراً الشخصية الإنسانية، وما يكوّنه الإنسان عن نفسه من أفكار واتجاهات، تمكّنه من تبني واختيار سلوكاً معيناً أو منهجاً حياتياً كالتبتل المبني على وضوح **"صورة الذات"**.

ثانياً: التبتّل والنضج العاطفي

إن النضج العاطفي كعنصر هام من عناصر تكامل الشخصية، لا يمضي على وتيرة واحدة. وإنما تبعث الخبرات والتجارب المتنوعة في الإنسان مختلف العواطف والانفعالات: كالحب والكره، الخوف والأمن، القلق والطمأنينة، الفرح

والكآبة... تلك هي مسيرة النضج العاطفي الناتجة عن خبرات فشل ونجاح معاً. وقد بيّنا باختصار فاعلية **"الحركة الديناميكية"**، التي يمثلها **"التبتّل"**، للنفس البشرية، وتأثيره في مسيرة النضج الإنسانية، إذا تم التفاعل الإيجابي مع العناصر الأساسية للنضج الإنساني السابقة. فالتبتّل يوجّه العاطفة للنضج من خلال ثلاث مراحل:

١- النمو ٢- التعبير ٣- التطهير

١- النمو

إن من طبيعة العواطف كما رأينا في الفصل الأول، وقابلية النمو أو التحوّل، ومن خلال فعل التبتّل وتأثيره في مسيرة النضج الإنساني، تظهر عواطف جديدة، قد تكون مختفية تحت تأثير البيئة والعادات والتقاليد وغيرها من العوامل الاجتماعية، تلك العواطف منها ما يحتاج إلى تقويم مثل: النظرة الحذرة للجنس والزواج، النزعة إلى التملّك، أو السيطرة، أو ضعف الثقة بالنفس (اهتزاز صورة الأنا)، وغيرها من العواطف التي تكوّنت بطريقة خاطئة. ومنها ما يحتاج إلى التقوية مثل عواطف الحنان والإصغاء، وعاطفتي (الأبوّة والأمومة)... وغيرها من العواطف التي تدعم الشخصية الإنسانية.

والتبتّل من شأنه **"كإعلاء"**، أن يقوّم تلك العواطف وينمو بها. وخاصة تلك المتعلقة بالحياة الجنسية بدون كبت ولا قمع، على أن يكون الإعلاء في مسيرة النمو دون استقطاب. و **"التبتّل"** كدعوة حب يعمل على نمو وتصعيد تلك العواطف بشمولية أكثر تجاه الآخر، وتجاه الذات. وبالتالي فإن صورة الذات من أولى العواطف التي يعمل **"التبتّل"** على تقويتها كمصدر لكل العواطف. فيعرف متى يقدم بعواطفه ومتى يحجم عنها. وتعتمد عملية النمو

على الحوار المستمر مع الذات تحت ضوء العقل لاكتشاف الإمكانيات وإبرازها وتوسعها وتعمقها حتى يتحقق لها الهدف الأساسي وهو" تحقيق السعادة الشخصية والتوافق الاجتماعي بين المتبتل والمجتمع. ولكي يتحقق هذا الهدف يصبح على النمو كما على الإعلاء: تقديم الغيرية على الأنانية وتحقيق التوازن النفسي.

٢- التعبير

تعتمد العواطف في ظهورها على مسرح السلوك على وسائل التعبير المختلفة: كالحوار، الفن، الأعمال اليدوية، التعاملات اليومية، الصداقة، الصلاة... وغيرها من مجالات التعبير. والتبتّل كأسلوب حياة المكرس هو المنفذ الوحيد الذي تعبر العواطف من خلاله عن نفسها. وكلما تعددت أساليب التعبير كلما كان الإفصاح عن الذات أكثر وضوحاً.

وسنركّز فيما يلي على وسيلتين للتعبير عن تحقيق النضج العاطفي هما:

أ- التعبير في الصداقة

إن الصداقة مجال واسع، من مجالات التعبير عن العواطف في حياة التبتّل. حيث تسمح الصداقة للمتبتل أن يقدّم عواطفه وعواطف غيره. هذه الحركة من العطاء والتلقي، تتم من خلال علاقة إنسانية تتسم بالمجانية. فوجود شخصين أو ثلاثة في حياة المتبتل يستطيع أن يفكر معهم بصوت عال، يمثل نجاحاً رائعاً يساعد على خروج العواطف دون خوف. فالاتصال بالآخرين بعمق وشفافية يكسب الشخص خبرة واتساع أفق بلا حدود. وكلما كان الاستعداد لهذا الاتصال قوياً على الرغبة في الخروج من الذات للقاء الآخر كان دوره في الارتقاء بالعاطفة قوياً ومؤثراً. ومما لا

شك فيه أن قيمة كل علاقة تتوقف على القدرة على التعبير من خلال الحوار الصادق للتعبير عن الذات وعن الاتجاهات والأفكار والتمنيات والتخوفات. فليس الصديق موضوعاً يُستهلك بل هو ذات مستقلة وبفضل المشاركة في الغيرية فهو يعكس وينير ذات الآخر.

١) *التعلق والتحرر:* تظل الصداقة في حياة المتبتل خاضعة لجدلية "**التعلق والتحرر**" في آن واحد. حيث يصحب الخروج من الذات علامة على الحرية والالتزام ويصبح الواحد حاضراً بكل كيانه وعواطفه للآخر وكأنه "**متعلق**" به، فيشاطره مشاعره من سعادة أو حزن، وما غير ذلك لضمان صدق العلاقة. وتخضع أيضاً إلى "**التحرر**" بعيداً عن نزعة التملّك. فالتبتل إعلاء تجاه التملّك، ليظل القلب حراً سخياً وصافياً وتبقى الذات حرة متجردة.

٢) *تحقيق الحاجات الأساسية:* إن من شأن التعبير في الصداقة، أن يحقق الحاجات الإنسانية النفسية، في سبيل النضوج النفسي والإنساني وسنوجز فيما يلي كيف تشبع الصداقة هذه الحاجات في علاقة بنّاءة.

- الحاجة للأمن: إن الرغبة في الأمن أكيدة، وبالرغم من كون التبتل مغامرة في الحياة، فإن الحاجة إلى الأمن ضرورية للمتبتل وفقدان الأمن يترتب عليه القلق والخوف وعدم الاستقرار وظهور النزعات العدائية. لذا فإن الصداقة تعتبر حصناً يلجأ إليه المتبتل حينما يحبط به الخطر والتهديد.

- الحاجة إلى الحب: من الحاجات الأساسية للإنسان أن يحب وأن يُحَب، وترجع تلك الحاجة إلى فترات الطفولة، وما يتلقاه الطفل من حب والديه، وخاصة والدته، فالأم هي مصدر الحب الأول، وهو أيضاً يبادلها الحب والمودة. ويستمر الاحتياج إلى الحب طيلة مسيرة النضج وخلال الحياة. والاحتياج إلى الحب هو في الأساس رغبة في القبول. من خلال الصداقة يتم تبادل التقبّل فيشعر المتبتل أنه مقبول من الآخرين وأن هناك من يصغي إليه ويتفهمه، وهي انطلاقة للتعمق في الذات ووضوح النظرة إلى الهوية.
- الحاجة إلى التقدير: إن الحاجة إلى التقدير والتشجيع حافز يدفع بالمتبتل ليكون أكثر حيوية ونشاطاً فهناك من يشجعه ويسنده ويقدّر عمله، عندما تفتر عزيمته، ولا يمكن التقدير في المكافأة المادية، بل المعاملة الحسنة وبث روح الثقة بالنفس والقدرة على التواصل، كما يؤكد ادلر على **"الذات الخلاقة"** التي تبتكر وتبدع في العلاقات مع الآخرين. ومن شأن الصداقة الحقيقية تحقيق ذلك، ففيها تقدير للنجاح ودعوة إلى المثابرة، وعزاء في الفشل ومساندة في وقت الضيق. إن في داخل كل مكرّس الحاجة إلى الصداقة، فالمشاكل والأزمات تبقى منطوية في الأعماق، وبالتالي مضرّة، ما لم تظهر معالمها من خلال التحدّث عنها إلى صديق. ولن يفلح المكرّس في أن يهب حبه للآخرين ما لم يعرف كيف يخرج من ذاته في علاقة أكثر حكمة وتحرراً هي الصداقة.

ب- التعبير في الصلاة

إذا كانت الصداقة كعلاقة أفقية تعتبر ركناً أساسياً من أركان التبتّل، فإن الصلاة تمثّل الركن الرأسي والعمود الفقري لهذا الاختيار. إن الانفتاح على الله كقطب أول، في حياة المتبتّل يأتي بالصلاة، فالتبتّل تفرغ كامل للعبادة يشترك كل كيان الإنسان، وبصفة خاصة العواطف، ففي الصلاة تلتقي العواطف الإلهية بالعواطف الإنسانية، في حديث حب مشحون بالوجدان، فيجلب الشعور بالسلام والسرور، وبقدر ما يشترك الكيان كله في الصلاة بقدر ما يتغذى القلب بالله[٨].

والصلاة نافذة على عمل النعمة، بقدر ما يفرغ المتبتّل نفسه من أنانيته ويقبل النعمة التي تخلق فيه الحرية وتعوّض نقص المجهود الإنساني، فتنمو الثقة بالنفس والنضج العاطفي، وبقدر النضج الروحي تكون السيادة على كل ردود الفعل العاطفية الداخلية والخارجية[٩]- وسنعود لأهمية الصلاة كإحدى مقومات حياة التبتّل- ومن شأن التبتّل أن لا يقف في الصلاة عند مستوى الأحاسيس السطحية فقط- وإن كان الشعور العاطفي والإحساس بنشوة عاطفية (تعزية) هام جداً- بل تذوق حضور الله بعد انتهاء صلاة القلب أو الصلاة الشفاهية، من خلال الحياة اليومية وتطبيق مشيئة الله التي تبينت له في الصلاة.

---

[٨] أوليفر بورج اليسوعي (الأب)، مقال "*دور العاطفة في الصلاة*"، مجلة صديق الكاهن العدد الثاني، أبريل ١٩٩٤ السنة الرابعة والثلاثون، ص١٥٦-١٦٣.

[٩] ج. لابلاس، *الكاهن طالب نفسه*، ترجمة أنطوان صيفي (الأب)، الكاهن طالب نفسه، ص٣١٢.

٣- التطهير

نأتي إلى أهم المراحل في النضج العاطفي، مرحلة التطهير ليست هناك عواطف نجسة يجب أن نطهرها، وإنما ما نقصده بعملية التطهير تفريغ الذات لحضور الله وعمل النعمة. وهذا ما أشرنا أعلاه في أهمية الصلاة ودورها في التعبير عن العاطفة للانفتاح على الله. فمن شأن "التبتّل" كأسلوب حياة و "إعلاء"، أن يقود إلى التساؤل: *أين مكانة الله من هذا الإعلاء؟ وكيف يطهّر التبتّل العواطف؟*. سبق وأن أوضحنا دور "التبتّل" في النضج الإنساني وفي اكتساب القدرة على ضبط الغرائز لتحقيق الذات، وتطهير العواطف لتصل إلى أعلى درجات الحرية الداخلية والخارجية بواسطة:

أ- التخلّص مما علق من شوائب ورواسب الماضي؛ فقد يكون للتربية والتكوين الأوّليين مساوئ تظلّ عالقة، كطريقة التفكير عن الله وعدم القدرة على إقامة العلاقة الناضجة معه.

ب- التحرر من التعلّق العاطفي، فالتبتّل لا يحد العاطفة في لذة وقتية أو شخص أو عمل معين، فشأنه الانفتاح على جميع الأنشطة الدينية والاستعداد لتغيير المنهج أو الاتجاه في سبيل الأفضل. إنه نوع من التحرّر مدعو إليه المتبتّل من خلال عواطفه. وهو مدعو كذلك اتساع القلب ليحتوي كل البشر بعيداً عن التعلّق العاطفي أو الحب البشري الغير مسؤول. ومما لا شك فيه أن يصاحب عملية التطهير (التفريغ) هذه ألم، يشعر به المتبتّل، هو نتيجة تعبير عن صدق دعوته ووضوح هدفه وحزمه تجاه العواطف السلبية، فالتطهير صورة من صور الإعلاء للتجاوب مع حضور الله.

ثالثاً: مقومات حياة التبتّل

يتضح لنا من المفاهيم السابقة للتبتّل تأثيره الديناميكي في النضج الإنساني والعاطفي، فمع أنه من أصعب اختيارات الحياة التي يمكن للإنسان أن يختارها، لذا يجب أن يتم هذا الاختيار بملء الحرية والاقتناع الشخصي وتحت إرشاد وقيادة قادة محنكين ذوي خبرة في هذا المجال حتى يصل المتبتّل إلى تحقيق ذاته ومشروع الله في حياته. فهو مسيرة إعلاء مستمرة تتطلب تخليات كثيرة وانفتاح مستمر، هذه المسيرة تحتاج لمقومات تضمن استمرارها.

١- البُعد الشخصي

أ- الوعي بالحياة العاطفية

رأينا في الفصل الأول، كيف تمثل العواطف قسماً كبيراً من تكوين الشخصية ونضوجها، ولا تمضي حياة المتبتّل على وتيرة واحدة، إنما هي حافلة بالخبرات والتجارب المتنوعة التي تبعث مختلف الانفعالات والعواطف. فالشعور بالقبول حيناً والرفض حيناً آخر، والشعور بالخوف والقلق تارة، وبالأمن والطمأنينة تارة أخرى، يخلق ردود فعل عاطفية تختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر. ويكمن الوعي بالعواطف في أن يتعرّف المتبتّل، من خلال خبراته على ماهية ما يشعر به من انفعالات وعواطف. ويدرك المؤثرات الداخلية (الذاتية) والخارجية التي تؤدي إلى ردود الفعل المختلفة عنده. كما يشمل الوعي بالتغيرات النفسية والجسمية التي يمر بها أثناء مختلف الانفعالات، كزيادة سرعة نبضات القلب، واحمرار الوجه وغير ذلك من العلامات التي تظهر على السطح الخارجي للجسم. فكلما زادت معرفة المتبتّل ووعيه بالانفعالات التي يعيشها، كلما أصبح

أكثر خبرة وفطنة في فهم ذاته وفهم غيره من الناس. وأصبحت قدرته على ضبط النفس والانفعالات والعواطف أقوى. فيصير البت في الأمور الحياتية اليومية والقرارات المصيرية أمراً محكوماً بميزان دقيق يصل من خلاله المتبتّل إلى حكم سليم غير انفعالي أو عاطفي، على الأمور التي تخص حياته وحياة الآخرين. كما يشمل الوعي بالعواطف أيضاً قبولها بناء على عاطفة **"اعتبار الذات"** أو **"صورة الأنا"** وإعطاء التقدير المناسب مما يفسح المجال لفهم الذات والنمو في مسيرة النضج.

ب- مراجعة الذات

كلما نجح المتبتّل في أن يُخرّج إلى ضوء العقل كل ما هو كامن في هامش الشعور واللاشعور، وأن يتعامل معه شعورياً، كلما أصبح قادراً على أن يملك زمام نفسه وأن يحقق "المثل الأعلى" عن طريق مراجعة الذات، والتدريب المستمر على فحص نفسه وقراءة تاريخه العاطفي بدون خوف أو حساسية، مما من شأنه أن يجعل المسيرة الذاتية مستقرة استقراراً واعياً وناضجاً مبنياً على قواعد سليمة ومقاييس واقعية بدون مبالغة أو إجحاف. وذلك بدراسة الأسباب الحقيقية وراء السلوك وردود الفعل، وقد ركّز **"فرويد"** على أهمية الوعي بالماضي ومعرفته في علاج القصور الذي قد يحدث في دور العواطف الأساسي.

كما أشار **"يونج"** في نظريته عن الذات، أن الإنسان ليس مجرد تراكم خبرات الماضي، وإنما من شأن مراجعة الذات تحويل تلك الخبرات إلى تطلعات وأحلام للمستقبل. وأكد **"ادلر"** بضرورة بث روح المقدرة أثناء مراجعة الذات على ضوء المعطيات البيئية والتنشئة الاجتماعية.

لتحريك "الذات الخلاقة" واجتياز الأزمات والنظرة المتفائلة نحو المستقبل مهما كانت مشاكل الماضي أو صعوبات الحاضر. وتأتي مراجعة الذات على ضوء المعطيات البيئية والتنشئة الاجتماعية، بأن يعي المتبتل الدور الذي قامت به التنشئة البيئية والاجتماعية في مجال العواطف مما تؤدي إلى ردود أفعال معينة. والهدف من مراجعة الذات هو تعرّف المتبتّل على ذاته، فيعرف أخطاءه ويتجنب عملية الكبت وآثارها السلبية، كما أنه يكتسب الخبرة والتصرّف السليم والحكيم أمام الأزمات التي تتكرر في حياته.

٢- البُعد الرأسي: الصلاة

تعتبر الصلاة من أهم مقومات حياة التبتّل، فهي عمل الروح القدس في الإنسان. ولا تقتصر على صيغ وكلمات محددة بل تتعدى ذلك لتكون التنفس الحقيقي لأبناء الله. وبالأحرى للمتبتلين. فهي تعبّر عن حالة المتبتّل العائش مع الله بصورة مستديمة والتي تضمن له علاقة شخصية بالرب. فالمتبتّل باندماجه في المسيح يتحتم عليه بطريقة ما أن يتنشق جواً من الصداقة والألفة مع الرب يسوع. فمن الضروري أن ينظّم المتبتّل برنامج صلاته اليومي الذي يتضمن الاحتفال بالافخارستيا، ومراجعة الذات، والتأمل الذهني، والقراءات المقدسة، وغيرها من العبادات التقوية ليتشبّه بالمسيح المصلي.

ويستطيع المتبتّل بصلاته أن يوجّه كل شيء نحو الله بشكر، يوجّه حياته بما تحمل من غنى وفقر وقوة وضعف. كما يوجّه رسالته الموكولة إليه، ويحمل في صلاته هموم وأتعاب وأفراح الآخرين الذين يقوم في وسطهم أو على خدمتهم. كما يستلهم الإرشاد والمشورة، من مرشده يسوع رفيق دربه، والذي على مثاله اختار هذا الاتجاه الصعب، وعلى أساس وعده بالمساندة والمعونة شاء أن يكرّس حياته له ولخدمة اخوته في عطاء كامل يصل إلى بذل الذات.

٣- البُعد الأفقي: الشركة

تعتبر حياة الشركة عنصراً هاماً من عناصر حياة التبتّل لما فيها من دعم وقدرة على المساندة والتجديد الروحي والفكري. هكذا أدرك الرسل أهمية حياة الشركة والبُعد الجماعي في حياة التبتّل، واتباع يسوع. وفي النشاط الإرسالي حيث أرسلهم يسوع منذ اللحظة الأولى اثنين اثنين (مر٦/٧). وبذلك عاشت الكنيسة الأولى أجمل المعاني التي عرفتها البشرية عن الشركة والتكريس والعطاء الكاملين. فالمتبتّل يحتاج في أدائه للرسالة إلى من يشاركه خبراته من أجل منفعته الشخصية ولخير الرسالة نفسها، فقد كان الرسل يجتمعون عند يسوع ليخبروه بجميع ما عملوا وعلّموا (مر٦/٣٠).

لذا لعب البُعد الجماعي دوراً هاماً في نجاح الرسالة. ونحن اليوم لا ننكر أهمية هذا البُعد في حياة المتبتّل كدعم أساسي، لذا يجب أن نعيد النظر في إمكانية الحياة المشتركة بين الكهنة، وعلى المتقدمين للتبتّل أن يهتموا بتعلّم قواعد وأسس الحياة الجماعية في مراحل التكوين الأولى، لكي ينمو لديهم الاستعداد للعيش المشترك الذي يعتبر ركناً أساسياً وهاماً في حياة التبتّل. وعلى المسؤولين الكنسيين أن يشجعوا مثل هذا النوع من الحياة بضرورة مراعاة الأبعاد المختلفة مثل (بيت جماعي، مائدة مشتركة...) هذا بجانب المشاركة الجماعية في الصلاة الطقسية. كل تلك الوسائل تعتبر مصدر أمن واطمئنان وثقة وفرح لكل متبتّل حتى يصل إلى النجاح في ممارسة الخدمة ونمو المسيرة الذاتية نحو النضج.

رابعاً: صعوبات في حياة التبتّل

خلال عرضنا "للفعل الديناميكي" للتبتّل ودوره في مسيرة النضج الإنساني والعاطفي، اكتشفنا بعض الصعوبات التي تلمس واقع التبتّل، وإيماناً منّا بأن الصعوبات يمكن أن تكون أداة للنمو، إذا استطاع المتبتّل تخطيها والاستفادة منها كخبرة، تساعده في مواجهة صعوبات الحياة. نورد أولاً مصادر الصعوبات ثم بعض الصعوبات.

١- مصادر الصعوبات

أ- عدم اكتمال النضج العاطفي

يلعب النضج العاطفي دوراً هاماً في نضوج الشخصية ككل... وقدمت المدرسة التحليلية المراحل التي يمرّ بها النضج العاطفي، وخاصة في السنوات الأولى من التنشئة: المرحلة الفمية، الشرجية، القضيبية، الكمون، المراهقة، وما تتميز به كل مرحلة، وتأثيرها في مسيرة النمو. فإذا توقف النمو العاطفي عند إحدى المراحل وخاصة الأولية، فإن النضج العاطفي والشخصي يصبح غير مكتمل. وأهم ما يجب أن يكتسبه الفرد خلال هذه المراحل أن يشعر بأنه محبوب وأنه قادر على أن يحب. للحب إذن دور خطير وهام في حياة الفرد، فهو في حاجة دائمة للحب والعطف والرعاية من والديه ومن المحيطين به، وهو يبادلهم الحب والمودة. وفي هذا الجو تنمو الشخصية نمواً طبيعياً سوياً. أما إذا حُرم الفرد من الحب والعطف وخاصة في السنوات الأولى فإن ذلك يؤثر سلبياً على نمو شخصيته ونضوجه العاطفي، ويتعرّض لكثير من الاضطرابات والأمراض النفسية، وعدم الإحساس بالأمن

والطمأنينة ويعاني من الخوف والقلق. ومن جهة أخرى فإن الإسراف في الحب والتدليل يؤثر تأثيراً سلبياً، حيث يعوق نمو الشخصية ونضوجها، ويضعف لديها القدرة على الاستقلال، وتحمّل المسؤولية. وفي النهاية يضعف القدرة على العيش حسب ما يتطلبه أسلوب التبتّل كالعزلة أو الوحدة أحياناً وهي من أهم الصعوبات التي تواجه المتبتّل.

ب- البيئة والمجتمع

يفتقر مجتمعنا إلى قواعد التربية السليمة، سواء على مستوى الأسرة أو البيئة (كثقافة وتقاليد)، أو حتى المؤسسات التعليمية. ويؤكد لنا علم النفس الاجتماعي أن وراء كل سلوك ظاهرة نفسية والعكس صحيح، فالفرد يعكس في سلوكه حضارة وثقافة بيئته وما تعلّمه إياه من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية وثقافية وروحية.

فعلى مستوى الأسرة تقتضي التربية في مجتمعنا تدخل الوالدين في الكثير من شئون الأبناء مما يحد من حريتهم ويمنعهم من التصرّف بحرية، فتقاليد مجتمعنا الشرقي المحافظ تعوق بعض الفتيات عن تحقيق كثير من رغباتهن الخاصة كالحرية الشخصية، وحرية اختيار الأصدقاء، والملبس بل ومجال الدراسة... ويتأثر أسلوب التربية كذلك بعدد الأبناء في الأسرة الواحدة، فكلما كانت الأسرة أقل عدداً، كلما نال الطفل قسطاً أكبر من التوجيه والتربية فينشأ قادراً على بناء علاقة مع المجتمع والآخرين. أما على مستوى المؤسسات التعليمية، فما زال ينقص المسيرة التعليمية قسط كبير من الجانب الإنساني الحياتي، والتنشئة الجنسية السليمة، فما زال يسيطر على النظرة للجنس تخوف

وحذر شديدين. فأصبحت المؤسسات التعليمية تمثّل مصدراً من مصادر الصعوبات.أمّا المجتمع والبيئة فهما يلعبان دوراً هاماً في خلق روح التعاون بين الفرد والمحيطين به. فإذا تعلّم الطفل معنى المنافسة وتقدير الآخرين منذ بداية إدراكه فإنه لا يجد صعوبة تجاه الحياة الجماعية والالتزامات التي يتطلبها التبتّل من تعاون وتقدير للحياة المشتركة. ففي البيئة والأسرة يتعلّم الطفل أن لا يكون أنانياً ويتعلم كيف يحترم حقوق الغير. أمّا إذا نشأ على العنف في التنافس وإهمال حقوق الآخرين. فإنه يجد صعوبة ليعبّر بسلوكه عما يرغب في الوصول إليه. مما لا شك فيه أن المؤثرات البيئية تلعب دوراً هاماً في خلق الصعوبات أو التغلّب عليها وكثيراً ما يبقى التغلّب عليها أمراً صعباً يحتاج للتدريب المستمر، ليتغلّب المرء على ما تربى عليه في بيئة لم تساعده على تقبّل واستيعاب مفاهيم مثل التبتّل.

ج- غياب المَثَل أو القدوة

قد نجد في غياب المَثل مصدراً من مصادر الصعوبات التي تواجه التبتّل مثلاً لما يمكن أن تخلقه البيئة والمجتمع. فالسنوات الأولى من حياة الإنسان تترك بصماتها في الكبار نتيجة للخبرات التي تؤثر في نمو الشخصية وهذه الخبرات هي نتيجة للتعاملات مع الآخرين والمحيطين به. وأول هؤلاء الأسرة. وكما رأينا في الفصل الأول، فإن دور المثل الأعلى مؤثر أساسي في تكوين **"الأنا الأعلى"** ويتم عن طريق غرس القيم والمبادئ العليا عن طريق التوحّد أو التشخّص كعملية لا شعورية يقوم بها الطفل فيتوحّد بالمحيطين به ويتشبّه بهم في تصرفاتهم

وسلوكهم، وبناءً عليه تنمو شخصيته متأثرة بالمثل والقدوة. وكما رأينا أيضاً، في الفصل الأول، صعوبة تبديل المثل الأعلى في سن متأخرة لأن عملية التوحّد تتم في السنوات الأولى، فتحفر في شخصية الطفل ما يقدمه له الآخرون المؤثرون فيه. ولا نقصد بغياب المثل عدم وجوده، لأن الطفل ينشأ في بيئة اجتماعية تحيطه بالرعاية، سواء في الأسرة أو المدرسة أو الكنسية (الكاهن.. الراهبات.. الخدام) وإنما نعني بغياب المثل وجود مثل سيئ أو متسلّط مما يخلق شخصيته عدوانية تتسم بطابع الخنوع والإتكالية.

وأمثلة تأثير المثل الأعلى تظهر أيضاً في طريقة التربية، باعتمادها على طريقة **"الثواب والعقاب"** المباشرين في توجيه سلوك وتصرفات الأبناء. فيصبح عنصر القوة هو العامل الأول في عملية التوحد. مما يدفع الطفل للجوء إما إلى القوة لإثبات ذاته أو العكس "الخنوع". وهناك نماذج عديدة لغياب المثل حيث تؤثر في تحديد مبادئ جوهرية تُبنى عليها حياة المتبتّل المستقبلية، مما يخلق صعوبات لا يقدر على مواجهتها ويجد صعوبة في أن يكون هو نفسه مثلاً للآخرين.

د– فهم غير سليم للإعلاء

رأينا في الفصل الأول، أن الكبت هو مقاومة بعض الدوافع والرغبات ومنعها من الظهور في الشعور. فالكبت يحول دون استخدام الطاقة النفسية المتعلقة بالغرائز. وخاصة تلك التي يمكن إشباعها بطريقة غير مباشرة (كالجنسية والتملّك والسيطرة والعدوانية) أما "الإعلاء" فهو تحويل هذه الطاقة النفسية وتوجيهها إلى أعمال مفيدة مقبولة من

المجتمع، تعتبر أهدافاً أسمى مما تحققه تلك الدوافع إذا ما أُشبعت بالطريقة المباشرة. وتصبح عملية "الإعلاء" موازية أو مرادفة لعملية "النمو" ذاتها؛ فإذا ما توقف "الإعلاء"، توقف النمو في الشخصية، وتعطّل النضج الإنساني والعاطفي. وتعتمد مسيرة "الإعلاء" على التنشئة الأولى ودور الوالدين والمربيين الذين يشمل توجيههم الدوافع والأسباب التي توجّه الشخص نحو مسيرة "الإعلاء" على أن يوضع في الاعتبار أهمية توضيح الهدف للطفل وإلا لتحوّل "الإعلاء" إلى قمع ومنع بدون مبرر. وبصفة خاصة في التربية الجنسية، فكثيراً ما يحجم الوالدان أو المربون عن التحدّث مع النشء في الأمور الجنسية، وربطها بما يخصّ الحلال والحرام، في إطار ديني فقط متجاهلين الاحتياج البيولوجي والسيكولوجي وضرورة التوعية السليمة. فينشأ الطفل وهو يعاني من الحرمان والنقص أو الخوف من الفشل في أمر يقلقه تجاه حياته الجنسية. مما قد يدفعه إلى الكبت أو التعويض أو الاهتمام الزائد بسلوك معين كوسيلة لتخفيف حدة توتره. فخلاصة ما نقوله أن الفهم الغير سليم للإعلاء مما يخلق صعوبات كثيرة تواجه التبتّل وعلى رأس تلك الصعوبات. كيفية توجيه وإشباع دوافعه وغرائزه.

إن مصادر الصعوبات كثيرة ومتعددة داخلية وخارجية وهي ما تجعل المتبتّل يعيش في واقعه ويقبله ومقاومة هذه الصعوبات لا تعتمد فقط على تقيّدها بنظرة علمية دراسية، وإنما بتسليم كامل وتواضع أيضاً وإتاحة الفرصة لعمل النعمة كدافع أساسي في حياة التبتّل. وسنقدم الآن بعض من صور الصعوبات التي تواجه المتبتل.

٢- بعض الصعوبات

لا تتضمن حياة الإنسان توافقاً مستمراً بين سلوكه من جهة وما يؤدي إلى إشباع لدوافعه من جهة أخرى. ويمكننا أن نقول إن التوافق في حياة المتبتل هو منهجه الإعلائي للدافع والنزعات الطبيعية وتجنّب التوترات الانفعالية والكبت. كما أن طريقة تعبيره عن عواطفه تتماشى مع ما يناسب اعتناقه للعفة الكاملة. ولكن الصعوبات تظل قائمة ويحتاج المتبتّل أن يظل دوماً في حالة من اليقظة للمحافظة على اتزانه النفسي والعاطفي. وسنورد بعض الصعوبات ويمكن تقسيمها إلى: غرائز الحياة، ثم البيئة والمثل، صورة الذات.

أ- في مواجهة غرائز الحياة

١) *مشكلات جنسية:* رأينا أن توقف النضج العاطفي عند مرحلة معينة من مراحل النمو وخاصة الناحية الجنسية يؤدي إلى ظهور مشكلات جنسية في سن متقدمة. فكما أشار "فرويد" وأنصاره إلى أن الغريزة الجنسية تنمو وتحقق هدفها منذ الطفولة، فيما يُسمى باللذة الذاتية، والتي تترك آثارها في مرحلة المراهقة، فيجد المراهق صعوبة في توجيه طاقاته الجنسية وطرق التعرف عليها فيلجأ إلى "الاستمناء" أو العادة السرية وقد تستمر هذه العادة معه لفترة طويلة يجد فيها تعويضاً وتفريغاً لطاقاته.

ترتبط المشكلات الجنسية بمفهوم الحب، وطريقة الحصول عليه من الآخرين، وطريقة إعطائه لهم.. فيكون الحرمان من العطف والحب في السنوات الأولى- كما وضحنا أعلاه- سبباً رئيسياً للتعلّق

العاطفي بأحد أفراد الجنس الآخر، والاستمتاع باللذة الحسية الملموسة. إن المشكلات الجنسية التي تواجه المتبتّل، بأنواعها المختلفة، مرتبطة بنمو الفرد وعلاقته ببيئته الأولى وخبراته المشتقة من هذه البيئة، حيث تتكون لديه اتجاهات نفسية عامة ولا يكمن الخطر في هذه الاتجاهات وإنما في التخوّف من إظهارها للمتخصصين في العلاج بتأثير ما يجب أن يكون عليه المتبتّل أمام الآخرين والخوف من تشويه صورته أمامهم.

٢) *الشراهة*: إن الشراهة والتفريغ في الطعام، من الأساليب التي يقوم بها بعض المتبتلين كعملية إشباع لغريزة التملّك، وهي نوع آخر من التعلّق العاطفي نتيجة الخلط بين ما هو أساسي، وما هو ثانوي في الحياة، فيصبح الاقتناء والرغبة في الامتلاك هدفاً يشوّه الرسالة، ويبرز الصراع بين أهواء "الهو" المكبوتة والمقموعة بطريقة غير سوية وبين رغبة **"الأنا الأعلى"** في التبتّل.

٣) *التسلّط*: تُعد الرغبة في التسلّط والسيطرة لإثبات الذات من الدوافع الشائعة عند بعض المتبتلين، فيظهر التسلّط بهدف احتلال مكان الصدارة والشهرة وتولي المناصب العليا في المجتمع. وتظهر صور التسلّط نتيجة للتنافس، ومحاولة التفوّق على الغير والسيطرة عليهم، وحث الوالدين على المنافسة وارتباطها بالثواب والعقاب، فيصبح عامل القوة هو الموجّه لغريزة السيطرة، ويرتبط مفهوم قوة الشخصية بالسيطرة والتسلّط. وهنا لا يُقصد بالسيطرة ضبط النفس وإنما التقليل من شأن الآخرين وآرائهم.

٤) *العنف والعصبية:* من الصعوبات التي تواجه بعض المتبتلين ردود الفعل العنيفة والمتسرعة أحياناً، كالتحدث بصوت عالٍ وعدم قبول النقاش والحوار... وصور الغضب المختلفة. ويرجع ذلك إلى غريزة المقاتلة، المصاحبة للانفعال واستخدام العنف كأسلوب في التعامل، وذلك كوسيلة تعويضية عما يصيبهم من سوء تقدير في مراحل النمو المختلفة، وليس الخطر في العنف وأساليبه فقط وإنما في اللجوء إلى تبريره وعدم إعلائه كطاقة تدفع تلك الغريزة.

ب- في مواجهة المثل والبيئة

يشكل تأثير البيئة وثقافة المجتمع وغياب المثل،صعوبات من أهمها:

١) *الروتينية:* من أكثر الصعوبات التي تواجه المتبتّل "الحياة الروتينية" نتيجة لتكرار ما يقوم به يومياً في إطار نظام صارم عديم التجديد. فالروتين الذي يشعر به المتبتّل ناتج عن خلل في طريقة أدائه لعمله اليومي، خاصة الروح التي تدفعه للقيام به، مما يجعله يُصاب بإحباط يعوقه عن مواصلة رسالته. كذلك الرتابة في علاقاته مع الآخرين، إذ تبدو علاقاته معهم سطحية يحكمها النظام والدقة فقط. ومن الأسباب الظاهرة للشكوى من الروتين عدم التجديد الثقافي، والاطلاع المستمر، وعدم الإبداع اليومي. وهناك أسباب ترجع إلى التربية وتأثير المثل المتسلّط.

٢) *الوحدة أو العزلة:* يصيب الشعور بالعزلة أو الوحدة المتبتّل، من حين لآخر، وهناك عوامل تدفع لذلك، خاصة إذا تعذّر وجود من يفهمه ويقبله ويدخل معه في حوار مما يساعده على مشاركة

الآخرين في خبراته الحياتية المؤلمة والمفرحة ويؤثر ذلك سلبياً على استقراره الشخصي. والشعور بالعزلة هو نتيجة لعدم شغل الفراغ، والتعوّد على السلبية والروتين، وعدم القدرة على مشاركة الآخرين في العواطف خوفاً من الدخول إلى الخصوصيات. فتنشأ عن ذلك صعوبة في إقامة علاقة بالآخرين أو الانتماء إليهم، وهي صعوبة ذات بعدين: نفسي واجتماعي فهو يعيش في عزلة عن نفسه في صعوبة التعبير عنها وقبول ذاته من جهة، ويعيش في عزلة عن الآخرين في عدم مشاركتهم لهم وجدانياً وحياتياً. ومن أخطر الصعوبات التي تواجه المتبتّل شعوره بأنه وحيد رغم وجود جماعة يعيش في وسطها وهنا نشير إلى أهمية دور الجماعة تجاه الفرد ومساعدته للخروج من عزلته.

٣) *الاتكالية:* هي عدم القدرة على تحمّل المسؤولية والهروب منها وإلقاء الأخطاء على الغير، وترجع الاتكالية كما رأينا في مراحل النمو والتربية إلى التأثير السلبي من الوالدين، كالإفراط في تدليل الطفل والإسراع دائماً لتلبية متطلباته وما إلى ذلك، مما يجعله يواجه صعوبة حينما يكبر وينفصل عن أسرته (مصدر تلبية احتياجاته) حيث تتغلب فيه روح الاتكالية والتواكل. فيعجز عن حل مشكلاته ومشكلات الآخرين، إذ يحس أنه في حاجة إلى الآخرين لسدّ أبسط احتياجاته. ويتسم السلوك الاتكالي بكثرة الاعتذار، ولوم الآخرين، وتحميلهم كل المسؤوليات. وهي من الصفات المعاكسة لروح التبتّل الذي يمتاز بالكفاح والتنافس في تحقيق الذات وتحمّل المسؤولية.

جـ- في مواجهة "صورة الذات" ضعف الثقة بالنفس

هي ضعف الروح الاستقلالية عند الفرد، ويكون هذا دالاً على فقدان الأمن أو سيطرة الخوف، ومن مظاهر هذا الضعف التردّد، وعدم الجرأة، وشدة الحرص، كل هذه الصفات تسميها علوم التربية "**ضعف الثقة بالنفس**" وهي عيوب تواجه "**صورة الأنا**". فقد رأينا أهمية دور الأنا في تحقيق الاتزان بين متطلبات "**الهو**" وقيم ومثل "**الأنا الأعلى**"، فإذا أخفق في تحقيق هذا الدور وفشل في تهدئة توترات وانفعالات "**الهو**" بصفة شبه مستمرة فإنه يُصاب بعدم ثقة في نفسه وعدم المقدرة على قيادة شخصيته. لذا يؤثر ضعف الثقة بالنفس سلبياً على عاطفة "**اعتبار الذات**". فيكون تقدير الفرد لنفسه ضعيفاً إذ يرى دائماً الآخرين أفضل منه عدم مبادراته وتردده أمام القرارات اليومية. فضعف الثقة بالنفس يعتبر مظهراً من مظاهر الصعوبات المختلفة التي سبق وتحدثنا عنها لأنها تواجه عاطفة "**اعتبار الذات**" التي هي مصدر كل العواطف والمحرك الرئيسي للنمو والنضج العاطفي والإنساني. وبالتالي للنضج البتولي أيضاً.

خاتمة

أردنا في هذا الفصل، أن نوضح ما يمكن "للتبتّل" أن يفعله في مسيرة النضج الإنساني والعاطفي، **فهو عملية إعلاء لا تنتهي بمجرد اعتناق** التبتّل كأسلوب حياة، وإنما تستمر لارتقاء درجات التكامل في الشخصية. وليس المجال هنا لسرد سيرة حياة القديسين، وإنما نقتبس بعضاً من حياهم والتي نعتبرها جزءاً هاماً يعبّر عن ردود أفعالهم العاطفية، وحياتهم المكرّسة في التبتّل، لنكتشف هل حقق هؤلاء بتبتلهم وتكريسهم النضج الإنساني.

فالتوجّه السليم للتبتّل، من شأنه أن يخلق شخصية قوية ومتزنة تتغلب على الصعوبات وتعمل على مساعدة الآخرين في انفتاح نحو الله. ويتميّز المتبتّل الذي يعي عواطفه ويأخذ التبتّل كوسيلة في حياته بأنه: متكيّف مرن لا يضطرب أو يفاجأ، يعرف الواجب ويعمله، ويبدي القليل من العلامات التي تكشف عن الاستثارة الانفعالية، يضبط نفسه ويوجّه حاجاته الغريزية، ليبدع فلا ينساق وراء أهوائه.

وكما كُتب عن ***القديس فرنسيس الأسيزي*** **"إن مشاعره الطبيعية كانت كافية لتجعل منه صديقاً لكل كائن"**. كان يستشف وجه الله في الطبيعة وجميع المخلوقات كذلك في المنبوذين والمسحوقين فتجده حساساً لمشاعر الآخرين. وقد تجلّت عاطفته في حنانه وعلاقاته، التي أوصلته إلى إحساس غامر بأخوّة عميقة مع جميع البشر، وتحوّلت الرأفة عنده إلى محاولة للقضاء على كل شعور بالنبذ، ولم يكن عطفه فكرة مجرّدة مبهمة، بل واقعاً معاشاً مع كل فرد لقاه. فالرأفة هي مشاركة صادقة في ألم الآخرين وبؤسهم ورأفته مثال وقدوة تثبت أن التبتّل الحقيقي ممكن ويجلب السعادة.. لهذا فقد كان للتبتّل والتكريس أهم دور في تحقيق ملء إنسانيته في إطار من الأخوّة الشاملة والإصلاح والبناء..

الخاتمة العامة

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة لعنصري الحياة المكرّسة "**العاطفة والتبتّل**" نستنتج أن: العاطفة تعتبر عنصراً من أهم عناصر النضج الإنساني ويترتب على تنشئتها ونضجها تعديل السلوك وتوجيهه، فمن شأنها أن تُكسب المتبتل قسطاً وافراً من الثبات والاستقرار. وخاصة عاطفة "**اعتبار الذات**" تلك الفكرة التي يكوّنها الفرد عن نفسه وتدفع به للميل نحو أو الميل عن. فكلما ازداد المتبتل معرفة وتقديراً لذاته كلما توحدت عواطفه واتجهت نحو هدف تكرّسه ألا وهو الاتحاد بالله وخدمة النفوس.

أما التبتّل فهو أسلوب حياة يختاره المكرّس بملء حريته إذ يرى فيه تحقيقاً لذاته ليس بعزلته أو انفراده، وإنما بانفتاح على مختلف الالتزامات في خدمة الجماعة البشرية، بعاطفة "**الأبوة والأمومة**" غير المحدودة. والتبتّل هو "**الإعلاء**" في لغة العلوم الإنسانية أي طريقة الإشباع الغير المباشر للغرائز والحاجات الإنسانية وبالأخص للغريزة الجنسية.

وقد حاولنا أن نكتشف الدور الهام للتبتّل في مسيرة النضج الإنساني، فمن شأن التبتّل- كامتداد لعملية "**الإعلاء**" التي يتربى عليها الفرد- أن يرتقي بالغرائز بعيداً عن القمع والقهر إلى هدف أسمى مما تصبو إليه تلك الغرائز وهذا الهدف هو تحقيق السعادة الشخصية "**صورة الذات**" والسعادة للمجتمع. ومن دراستنا هذه يمكننا التأكيد على النتائج الآتية:

١-التبتّل يحقق النضج العاطفي والإنساني: إن لفعل التبتّل تأثيراً إيجابياً على مسيرة النضج العاطفي والإنساني، كاكتشاف عواطف

جديدة كانت مختفية تحت تأثير البيئة والعادات.. منها ما يحتاج إلى تقويم كالنظرة إلى الجنس، ومنها ما يحتاج إلى تنمية كعواطف الحنان والإصغاء، وغيرها من العواطف التي تدعم الشخصية الإنسانية. والتبتّل يدعّم **"صورة الأنا"** الذي يلعب دوراً رئيسياً في تنظيم التنسيق بين **"الهو"** (مبدأ اللذة) و **"الأنا الأعلى"** (المُثل والقيّم العليا) ويساعد التبتّل **"الأنا"** في رفع مستوى **"الهو"** من المستوى المادي البحت إلى مستوى الاحتياجات الأكثر ضرورة وكذلك الرقي إلى مستوى **"الأنا الأعلى"** ليستقي الطموح والتطلعات التي يصبو لتحقيقها. وبالتالي فإن التبتّل كأسلوب حياة يجب أن يطابق **"صورة الأنا"** في واقعه وبيئته فلا ينحدر إلى مستوى تحقيق مبدأ اللذة **"الهو"** ولا يبقى بعيداً في مستوى المثل والقيّم **"الأنا الأعلى"** فقط وبالتالي يصبح تحقيقه من أصعب المشاريع في الحياة.

٢- **التبتّل ليس رفضاً للجنس:** رأينا أن الدافع الجنسي من الدوافع القوية في الحياة الاجتماعية، و **"التبتّل"** كعملية **"إعلاء"** تخص الدافع الجنسي أكثر من غيره من الدوافع ولذا فرقي الإنسان اجتماعياً وروحياً يعتمد على نظرته إلى الجنس وتعاملاته مع الآخرين. و **"التبتّل"** يضمن السيطرة على الرغبة في الإشباع الحسي المباشر وتحويله نحو مشاعر الإعجاب والحب، ومطامح فكرية وفنية. وتؤكد لنا العلوم الإنسانية أن الفرد لا يموت إذا تعطلت وظيفته الجنسية، وبالتالي فإن **"التبتّل"** **"كإعلاء"** لا كما يظن البعض أنه بتر واخفاق للحياة الجنسية وبالتالي توقف في

النضج العاطفي وإنما توجيه هذا الدافع لا بطريقة القمع أو الكبت إلى تحقيق علاقات اجتماعية سوية ونظرة إيجابية للجنس.

٣-**أهمية التعبير عن العواطف:** كلما استطاع المتبتّل أن يُظهر على مستوى الشعور ما هو كامن في اللاشعور، كلما تغلّب على مشكلات الكبت والقلق.. وبقدر ما يستطيع أن يعبّر عن عواطفه في إطار حياة التبتّل بقدر ما يكون ناجحاً في علاقاته مع ذاته والآخرين والله.. ومجال التعبير عن العواطف واسع كالصداقة والصلاة وتنمية المواهب الفنية والفكرية والأدبية وغير ذلك مما يجعله متحرراً من عزلته النفسية.

٤-**أهمية الحياة المشتركة:** نؤكد من جديد على ضرورة الحياة المشتركة ولا نقصد بها العيش وسط جماعة المكرسين فقط وإنما المشاركة الوجدانية والفعلية داخل هذه الجماعة، فمن شأن الجماعة والحياة المشتركة أن تساعد المتبتّل على النمو والنضج الإنساني بإتاحة الفرصة للخروج من الذات وتبادل الخبرات والتفكير المشترك والصلاة المشتركة، فهي عوامل هامة تساعد المتبتّل على الخروج من عزلته وانطوائه النفسي. ولا ندّعي أننا شملنا موضوع "**ديناميكية العاطفة والتبتّل**" بدراسة وافية شافية بل يبقى المجال واسعاً لتقديم دراسات علمية وروحية في هذا المجال المحاط بالحذر وعدم المخاطرة في طرق هذا الباب وإنني أدعو المتخصصين في مجالات التربية وعلم النفس بصفة خاصة إلى التعمّق في هذا المجال لتقديم العون اللازم لكل متبتّل ليتعرّف كيف يتعامل مع عواطفه وكيف يحقق شخصية أكثر نضوجاً عاطفياً وإنسانياً.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- *الكتاب المقدس*، درا المشرق، بيروت، ١٩٨٩.

٢- *المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني*، الوثائق المجمعية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٣- *معجم اللاهوت الكتابي*، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.

٤- إبراهيم مدكور، *معجم العلوم الاجتماعية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.

٥- أحمد بن على المقري الفيومي، *المصباح المنير*، المطبعة الأميرية، الجزء الأول والثاني، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٢٥.

٦- جميل صليبا، *علم النفس*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢.

٧- جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.

٨- صبحي حموي اليسوعي (الأب)، *معجم الإيمان المسيحي*، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، ١٩٩٤.

٩- عبد المنعم الحفني، *موسوعة علم النفس والتحليل النفسي*، إنجليزي/ عربي، مكتبة مدبولي، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٧٨.

١٠- محمد عاطف غيث (د.)، *قاموس علم الاجتماع*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.

١١- منير وهيبة الخازن، *معجم مصطلحات علم النفس*، دار النشر للحامعيين، القاهرة، ١٩٥٦.

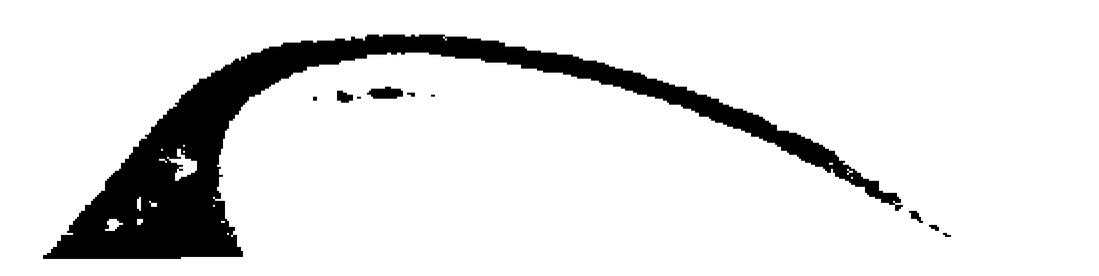
١٢- *المنجد الأبجدي*، دار المشرق، بيروت، طبعة أولى، ١٩٦٧.

١٣- *المنجد الفرنسي العربي للطلاب*، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣.
١٤- *المنجد في اللغة والأعلام*، دار المشرق، بيروت، الطبعة العشرون، ١٩٨٦.
١٥- *الموسوعة الفلسفية المختصرة*، ترجمة فؤاد كاملة (وغيرها)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣.
١٦- *دائرة المعارف الكتابية*، دار الثقافة، جـ١، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
١٧- *دائرة المعارف الكتابية*، دار الثقافة، جـ٣، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.
١٨- *قاموس إلياس الجامعي، إنجليزي عربي*، دار إلياس العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
١٩- *قاموس هارب HARB إنجليزي/ عربي*، دار العرب البستاني، القاهرة بدون تاريخ.

ثانياً: المراجع

١) كتب

١-أديب مصلح فرنسيس، *أصلح كنيستي*، منشورات المكتبة البولسية، سلسلة النوابع (٢)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
٢-توفيق الطويل، *فلسفة الأخلاق ونشأتها وتطورها*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥.
٣-ج. لابلاس، *الكاهن طالب نفسه (مترجم)*، انطوان صيفي (الأب)، الكاهن طالب نفسه، (مترجم)، منشورات أوراق رهبانية، الكسليك- لبنان، ١٩٧٤.
٤-زكريا إبراهيم (د.)، *دراسات في الفلسفة المعاصرة*، مكتبة مصر الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
٥- زكريا إبراهيم (د.)، *المشكلة الخلقية*، مكتبة مصر ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩.
٦- سيد محمد غنيم، *سيكولوجية الشخصية*، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.



٧- عبد العزيز القوصي (د.)، *أسس الصحة النفسية*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.

٨- فاضل سيداروس اليسوعي (الأب)، *خواطر في التبتّل المكرّس*، دار المشرق، موسوعة المعرفة المسيحية، الحياة الروحية٣، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٩- فرانسوا٠فاريون اليسوعي (الأب)، *إلهنا يتألم*، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

١٠- كوستي بندلي، *الجنس ومعناه الإنساني*، منشورات النور، بيروت، ١٩٧١.

١١- محمد عثمان نجاتي، *علم النفس في حياتنا اليومية*، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٤.

١٢- محمود حسب الله، *الحياة الوجدانية- العقيدة الدينية*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٨.

١٣- ميخائيل ضومط، *توما الإكويني*، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٦.

١٤- هنري بولاد اليسوعي (الأب)، *أبعاد الحب، سلسلة الإيمان والحياة (٩)*، بدون تاريخ.

١٥- وليام ليلي، *المدخل إلى علم الأخلاق*، ترجمة علي عبد المعطي محمد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٥.

١٦- يوسف مراد، *مبادئ علم النفس العام*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦.

٢) مقالات

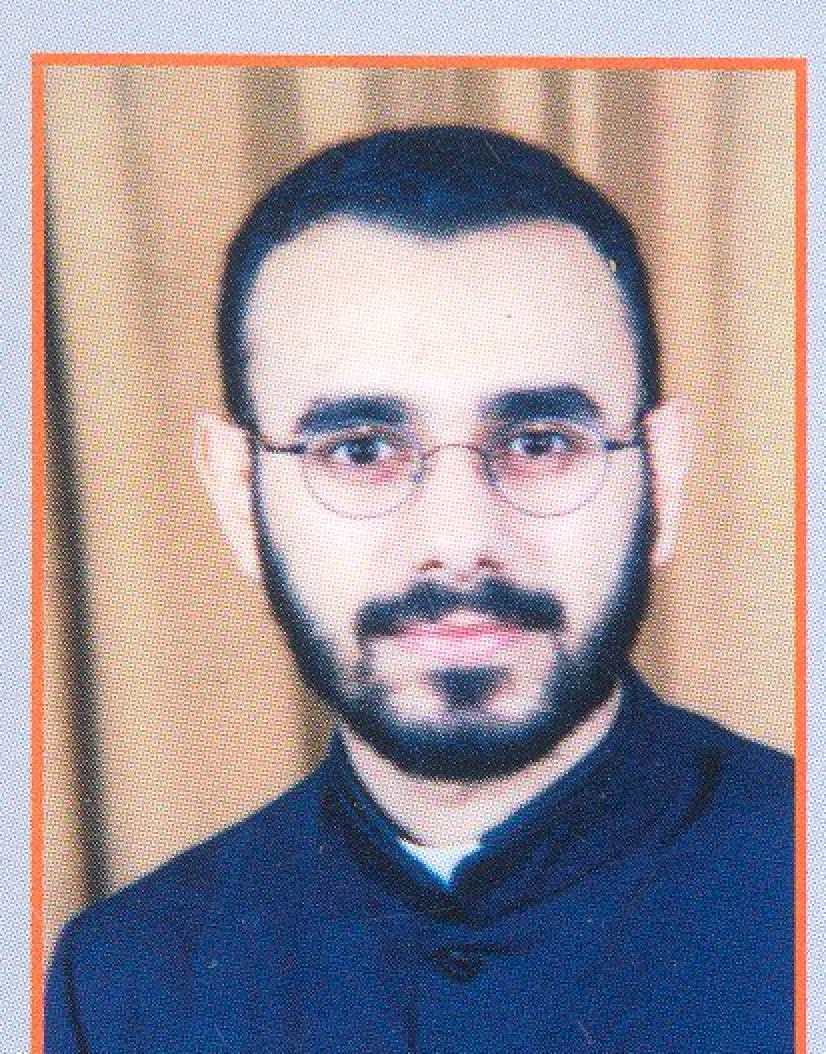
١- أوليفر بورج اليسوعي (الأب)، *دور العاطفة في الصلاة*، مجلة صديق الكاهن، تصدرها كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية، المعادي، القاهرة، العدد الثاني، أبريل ١٩٩٤، السنة الرابعة والثلاثون.

٣) محاضرات

١- أوليفر بورج اليسوعي (الأب)، *محاضرات عن العفة والتبتّل والعذروية*، معهد اللاهوت بالسكاكيني، القاهرة، نوفمبر ١٩٩١.

الفهرست

المنشآت البابوية للرسالة المسيحية



الأب/ دانيال لطفي

- تاريخ الميلاد : ١٩٦٩/٥/٤
- نهاية الدراسة بالإكليريكية : يونيو ١٩٩٦
- تاريخ السيامة الكهنوتية : ١٩٩٦/٧/١٨

بدء حياته الكهنوتية مساعداً في كنيسة قلب يسوع للأقباط الكاثوليك بالقوصية. ثم خدم لمدة عام بإكليريكية الأقباط الكاثوليك بالمعادي وعاد إلى إيبارشية أسيوط.

حالياً

ليعين راعياً لكنيسة مار جرجس بدرنكة، إلى جانب إهتمامه بالشباب والدعوات والتدريس بمعهد التربية الدينية بأسيوط.

في هذا الكتاب

يصحبنا الأب دانيال لطفي في دراسة شيقة ومفيدة عن الأبعاد النفسية والروحية لموضوع " العاطفة والتبتل" وهو موضوع شغل وما زال يشغل مساحة كبيرة من الجدل على مدار العصور. وذلك من خلال بحث علمي منهجي وموضوعي في العلوم الإنسانية والكتاب المقدس وفي علم النفس. يستعرض عبره ، في الفصل الأول ماهية ومفهوم العاطفة وفي الثاني التبتل؛ لينطلق بنا في الفصل الثالث محللاً ومطبقا ما جاء في سابقيه من أفكار وبراهين ليستخرج منها استنتاجات توضح لنا مفهوم وديناميكية التبتل كأسلوب للحياة، يهدف إلى تحقيق التوازن العاطفي والوصول إلى النضج الإنساني... بحيث يشعرنا أن التبتل يمكن أن يكون منبعاً لا ينضب ترتوي منه الكنيسة والبشرية عبر العصور...



مطبوعات الطفولة الرسولية

بطريركية الأقباط الكاثوليك

١٥ ش ١٥ - ص.ب. ١٤١ المعادى - ١١٧٢٨ القاهرة

تليفون : ٣٥٨٥٠٤٦ - ٣٥٨٣٤٩٤

فاكس : ٢٠٢/٣٨٠٨٥١٧